المحطة الثانية

مرحلة الانقلابات العسكرية

الانقلاب الأول: (انقلاب الزعيم حسني الزعيم)

ولد الزعيم في مدينة حلب من أب حلبي وأم كردية، ودرس فيها حتى التحق بالجيش التركي، بعد الحرب العالمية الأولى، بلغ رتبة ملازم عندما ألحق بحاشية الجنرال بصري باشا في المدينة المنورة، وقد روي الكثير من الروايات عن سلوكه الشخصي، وشذوذه في ذلك الوقت[1]، وبعد احتلال الفرنسيين لسوريا، التحق بقطعات جيش الشرق، الذي شكلته فرنسا وأطلقت عليه اسم الجيش المختلط، وقد وصل إلى رتبة كومندان (مقدم) وقد اشترك في جميع الأعمال التي قام بها الجيش المختلط الفرنسي، بضرب وسحق جميع الثورات السورية التي نشبت ضد الاحتلال الفرنسي حتى الثورة السورية الكبرى (ثورة سنة ١٩٢٥) ولما دخلت الجيوش البريطانية والديغولية الفرنسية لاقتلاع الفيشيين، كان حسني الزعيم يقاتل مع الفيشيين الفرنسيين في ضواحي دمشق، وقد زود الفيشيون المقدم الزعيم بكميات كبيرة من الأسلحة، ومبالغ طائلة من الأموال، وعهدوا إليه بتشكيل عصابات محلية تناوش القوات الزاحفة وتؤخر تقدمها، لحماية القطعات الفيشية أثناء انسحابها، لكن الزعيم فر هارباً بالأموال، وترك العصابات المؤلفة من الأكراد والشركس تتشرذم وتضيع، حتى قبض عليه الديغوليون بعد ذلك وحكمته محكمة عسكرية فرنسية في بيروت بدفع الأموال التي قبضها إذ حكم عليه الديغوليين بعشرين عاماً في السجن قضاها في حبس الرمل في

١- أوراق من دفتر الوطن: سامي جمعة ـ ص ٣٤-٣٥-٥٢.

obeikandl.com

بيروت وفي سجن القلعة في دمشق، ولما انسحب الفرنسيون من سورية ولبنان أخلي سبيله وعاد للتسكع في دمشق من جديد[1].

الزعيم حسني الزعيم

لما تقدم حسني الزعيم بعد ذلك بطلب للعودة إلى الجيش[2] السوري، تبين أنه من المستحيل إعادته إلا بعد إلغاء الحكم الصادر ضده من المحكمة الفرنسية، وبمساعدة جهات مختلفة ماسونية ويهودية، أعيدت محاكمته في باريز، وصدر قرار المحكمة بتبرئته من الحكم الصادر بحقه، وإعادته إلى الجيش «جيش الشرق الفرنسي» الذي لم يعد له وجود، مع حفظ حقه بالرتبة الأعلى ودفع رواتبه عن المدة التي قضاها في السجن وخارج الجيش، واستمرت المساعدة نفسها بعد عودته من باريز، حتى أصدر مجلس الشورى بدمشق حكماً بإعادته إلى الجيش السوري برتبة أعلى «رتبة عقيد». تعين آمراً للواء الثالث والمنطقة الشرقية في دير الزور.

بعد تعيين الزعيم في دير الزور، أصبح حاكماً مطلقاً، وانصرف إلى حياة المجون والسهر والقمار حتى انتقل في أواخر سنة ١٩٤٧، إلى محكمة عسكرية لم يكن لها وجود في حلب إلى أن عاد أخيراً إلى دمشق يتسكع في المقاهي والحانات ويتردد على بيروت حيث مسرح لهوه السابق.

وصول الزعيم إلى رئاسة الأركان

عندما تحركت الجيوش العربية في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ لدخول فلسطين، وفق الخطة التي وضعها رؤساء أركان الجيوش المنعقد في مدينة الزرقاء الأردنية، تقدم الجيش السوري في الوقت المحدد، فاجتاز الحدود، ودخل بلدة سمخ، وطرد الحامية اليهودية منها، بعد أن أوقع فيها خسائر فادحة في الأفراد والأموال والعتاد..

١- أوراق من دفتر الوطن: سامي جمعة ـ ص ٣٤-٣٥-٥٢.

٢- سامي جمعة نفس المرجع ـ ص ٥٢.

Orientkanal.com

ولم تصل بعد ذلك لقواتنا مدفعية ثقيلة لدك تحصينات العدو، وظهر بعض الإرباك والتردد في الهجوم على العدو من جديد، فكأن إهمالاً قد حصل من المسؤولين في دمشق، وأدى ذلك إلى تنحية رئيس الأركان عبد الله عطفة، وآمر اللواء الثاني وإحالتهما إلى التقاعد. وهنا حصل خلاف بين رئيس الوزراء جميل مردم، وأحمد الشرباتي وزير الدفاع حول اختيار رئيس الأركان العامة لكن جميل مردم الذي شكل الوزارة من جديد اختار حسني الزعيم، رئيساً للأركان بالرغم من معارضة الشرباتي، وزير الدفاع الذي كان يعرف ماضيه السيئ في الجيش الفرنسي وتصرفاته في دير الزور، وثبوت اتصالاته بجهات أجنبية معادية مما يشكل خطراً على البلاد ومستقبل (النظام الجمهوري) وقد اختاره جميل مردم رئيساً للأركان وأطلق يده تفعل ما تشاء في الجيش حيث عدل قانون الجيش، وربط أكثر صلاحيات وزارة الدفاع ومديرياتها برئيس الأركان.

من هو جميل مردم

جميل مردم

لقد كتب سامي جمعة في كتابه أوراق من دفتر الوطن عن جميل مردم ما يلي[1] جميل مردم لا يحمل في شرايينه نقطة دم عربية واحدة، فهو من أصل ألباني جاء جده «لالا مصطفى باشا» في العهد العثماني وافداً إلى دمشق فاستوطنها، ثم استولى بوضع اليد على مساحات من الأراضي الزراعية في غوطة دمشق الشرقية، وفي منطقتي خان أرينبة ودنون، وبعض العقارات العائدة للأوقاف الإسلامية في دمشق، وكان ذكياً يتمتع بسلوك وعقلية المزارع الإقطاعي البخيل والتاجر الشاطر، لم يشارك بأية ثورة من الثورات التي نشبت في سوريا ضد الاستعمار التركي أو الفرنسي، انتسب إلى الكتلة الوطنية لاكتساب الوجاهة، ولتحرير أعماله الخاصة ـ كان جميل مردم يحقد على شكري القوتلي لأنه كان يعتقد نفسه الأحق برئاسة الجمهورية، استناداً لثقافته وحنكته ـ كما كان يكره المرحوم سعد الله الجابري، بسبب كبريائه وصدقه واستقامته وصلابة إيمانه الوطني وكان يحيك المؤامرات والدسائس ضد الاثنين.

١- أوراق من دفتر الوطن ص ٥٣-٥٤.

obeikandi.com

كان يعلم بما تخطط أمريكا للمنطقة ولسوريا بالذات، بعدما بزغ فجر مصالحها النفطية في المنطقة، لذلك فقد عمل في النهاية المحتومة، عندما أطلق يد حسني الزعيم بالجيش يعيث فيه فساداً، ويكونه بالشكل الذي يحقق فيه أغراضه، وكانت أمريكا قد عيّنت «مايلز كوبلاند»[1]، رجل المخابرات الأمريكية، سكرتيراً أول اسمياً في سفارتها في دمشق، لتوجيه الزعيم للإحاطة بالنظام في دمشق وتحقيق أغراضها، وفي تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ في ذكرى قرار تقسيم فلسطين، تفجرت في دمشق والمدن السورية الأخرى، مظاهرات عارمة، انتصاراً لفلسطين وقضيتها، فما كان من جميل مردم ووزير داخليته محسن الرازي، إلا أن أطلق يد الزعيم، فأمر بإنزال الجيش لقمع المظاهرات، فخر الكثير بين قتيل وجريح من الطلاب والشباب الوطني ثم منع التجول في أكثر المدن السورية وصار يصدر القرارات المرفقة بأمر وينهى كما يشاء، ولما استفحل الأمر وكثرت الضحايا التي كانت تسقط برصاص رجال الأمن والجيش، ثار النواب وعقدوا جلسة سرية في الندوة النيابية حمل الجميع خلالها على جميل مردم حملة شعواء بسبب الصلاحيات التي منحها لحسني الزعيم لقمع المظاهرات مما أدى لاستقالة جميل مردم وحكومته، واستدعى القوتلي على عجل السيد خالد العظم من باريس حيث كان يشغل منصب وزير سوريا المفوض وكلفه بتشكيل الوزارة الجديدة، فألفها بسرعة محتفظاً لنفسه بمنصب وزير الدفاع.

وقد تبين فيما بعد أن جميل مردم قد تعمد إيصال الأمور لما وصلت إليه وأنه كان عالماً بما كان يدبر للبلاد والنظام الوطني الوليد في الخفاء، فسارع بعد تقديم استقالته إلى مغادرة البلاد ملتحقاً بإمبراطوريته المصرفية في سويسرا التي بناها من قبل سنوات بواسطة نجله زهير مردم بيك وكان هذا آخر عهده بسوريا وبالوطن العربي.

١- مايلز كوبلاند: صاحب كتاب لعبة الأمم.

obeikandl.com

وزارة خالد العظم[1]: كان العظم أحد أقدر الرجال في الحياة العامة السورية، وقد منحه ماضيه وثراؤه ونزعاته الطبيعية فرصاً للسفر، ففَاق أقرانه في نموه الفكري وربما أصبح يحتقر السياسة الضيقة القائمة على المدينة ـ وكان يتمتع بذوق رفيع مهذب ومثقف مع فهم عميق لمؤلفات السياسة الدولية والمالية الدولية، يفوق أياً من زملائه، لكنه إذا قيس بمقياس وطني يبدو اقل منهم ذلك لأنَّ أباه كان أحد أولئك الوجهاء الذين يرون أنهم أتراك أكثر مما هم عرب، لذلك فقد دافع عن الوضع الراهن للإمبراطورية العثمانية ضد الوطنيين العرب. وخالد العظم نفسه لم يشترك بالكتلة الوطنية، ولم يشارك في كفاحها ضد الفرنسيين. وهو على غناه وثقافته وتمثيله كبار المصالح، وتلقيه تعليماً غربياً قد تحالف مع الشيوعيين سنة ١٩٥٧ فأخاف العالم حين أدخل في روعه أن سوريا في خطر السقوط تحت السيطرة السوفيتية.

خالد العظم

وحين هرع من باريز ١٩٤٨ لينهي أزمة تركت سورية بلا حكومة أكثر من أسبوعين، حيث شكّل وزارة من خارج البرلمان في ١٦ كانون أول ١٩٤٨، ثم واجه مجلساً نيابياً ثائراً وقد شغلت الحكومة حينذاك بمشكلتي حرب فلسطين ـ وعقد اتفاق نقدي مع فرنسا الأمر الذي لقي استنكاراً من قبل المعارضة فاعتبرته مقدمة إحياء النفوذ الفرنسي في سوريا.

وثانيهما قضية منح شركة الأنابيب الأمريكية «التابلاين» تسهيلات عبور من العربية السعودية إلى البحر المتوسط، وقد وجد معارضو الحكومة الأمر بأنه طليعة الاستعمار الأمريكي.

ومع ذلك فقد تم توقيع اتفاقية فرنسية سورية في دمشق في ٧ شباط ١٩٤٧ تمت بموجبها تسوية جميع الإشكاليات المالية المعلقة التي وجدت نتيجة انتهاء الانتداب[2] ثم تبع ذلك في ١٦ شباط اتفاقية مع التابلاين[3].

١- باترك سيل ص ٥٦-٥٧.

٢- نص الاتفاقية في جريدة لوريان الصادرة في بيروت ٢٠ شباط سنة ١٩٤٩.

٣- النص بنفس الجريدة ١٨ شباط ١٩٤٩ بروز ضباط الكلية العسكرية وأكرم الحوراني.

obeikandl.com

ولكن قبل تصديق البرلمان على الاتفاقيتين قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه على حكم القوتلي، وحل البرلمان... وقبض على زمام السلطة. وصدقت الاتفاقيتان من قبله بعد أن تسلم السلطة.

صُدّقت الاتفاقية النقدية مع فرنسا في ٢١ نيسان، واتفاق التابلاين في ١٦ أيار ويرى خالد العظم وأكثر السياسيين أن الولايات المتحدة قد شجعت الزعيم على تنفيذ انقلابه.

وكان بعد تشكيل حكومة خالد العظم قد بدأ العد العكسي لتنفيذ المخطط الموضوع للإطاحة بالنظام الوطني الديمقراطي في سوريا بواسطة حسني الزعيم ففي تلك الفترة جاء إلى دمشق السيد «مايلز كوبلاند» رجل المخابرات الأمريكي المشهور (صاحب كتاب لعبة الأمم) والذي لعب دوراً هاماً فيما بعد بالاشتراك مع «كيرمت روزفلت» بثورة ٢٣ يوليو في مصر) حيث عين اسمياً سكرتيراً أول في السفارة الأمريكية بدمشق، وكانت مهمته الأساسية وضع اللمسات الأخيرة للإحاطة بالنظام وتوجيه الزعيم التوجيه المناسب لإنجاح المشروع حيث بدأ الزعيم يفكر بالاتصال بإسرائيل وربما الصلح معها[1].

بروز ضباط الكلية العسكرية وأكرم الحوراني

بعد رحيل الفرنسيين سنة ١٩٤٦ عن سورية، تقاطر الطلاب الثانويون على الانتساب إلى الكلية العسكرية في حمص، فغدت مدرسة يتخرج منها الضباط الوطنيون المثقفون سياسياً، وكان لدفعة خريجي سنة ١٩٤٦/١٩٤٧ أهمية خاصة، فقد ضمت الجيل الأول من الضباط الوطنيين، وهم القادة الذين قاموا بمهمة تحويل القوات الخاصة إلى جيش وطني رست على أكتافهم مباشرة أعباء القيام بأدوار سياسية مهمة للوطن والعروبة، وقد قطعت الحرب الفلسطينية عليهم دراستهم ومدتها سنتان وأجبرتهم على الالتحاق بالقوات السورية المحاربة سيئة التدريب والتجهيز المرابطة في وادي الأردن وعلى حدود فلسطين..

١- سامي جمعة ص ٥٥.

obeikandl.com

صورة الكلية العسكرية في حمص

كان معظم الضباط القدامى في الجيش السوري من أفراد العائلات الكبيرة المتنفذة أدرجهم الفرنسيون في سلك القوات الخاصة، لكي يحفظوا بذلك ولاء العائلات والعشائر التي أُخِذُوا منها[1].

أما بعد سنة ١٩٤٦ أي بعد الاستقلال أصبحت الأغلبية الساحقة من طلاب الكلية العسكرية من الطبقة الوسطى أو الدنيا التي تربت فكرياً على مقاعد الدراسة في إطار الحركات الفكرية الشعبية والوطنية التي ظهرت للوجود في الثلاثينيات والأربعينيات، وقد أغفل اليمين المحافظ في سوريا الجيش كقوة سياسية في ظروف «نكبة مهلكة» تشكل أداة مندفعة مثقفة وموجهة دمرت فيما بعد نفوذ العائلات الإقطاعية، وتجار المدينة.

أكرم الحوراني

وقد برز على الساحة بعد سنة ١٩٤١ الزعيم الحموي أكرم الحوراني ممن عرفوا كم هي قوية مجموعة الضباط الواعين سياسياً، وكم هي خصبة أرض طلبة الكلية العسكرية في حمص بما قدمته للوطن، على المسرح السياسي والقومي...

ففي سنة ١٩٤١، جمع حوله زمرة من صغار الضباط واندفع بها للالتحاق بثورة رشيد علي الكيلاني في العراق تملأه الآمال السياسية والوطنية الكبيرة...

في سنة ١٩٣٩ تزعم حركة الشباب وقد قوّاها الحوراني بربطها بالحزب القومي السوري الاجتماعي ذي التنظيم شبه العسكري المتين (التنظيم قاعدته في بيروت) ـ ومن المشكوك بانتساب الحوراني لهذا الحزب وكانوا يصفونه بأنه رجل عمل الأفكار ـ وقد انضم الحوراني اعتباراً من سنة ١٩٤٤ إلى مجموعات الضباط الشباب في غارات فدائية على الحاميات الفرنسية في منطقة حماة، وفي سنة ١٩٤٥ أسس حزبه العربي

١- باترك سيل ص ٦٠-٦١.

Online-kanali.com

الاشتراكي وأخذ يبتعد عن الحزب القومي السوري باتجاه المبادئ القومية العربية والاشتراكية الأكثر شمولاً التي نادى بها حزب البعث الناشئ[1] حتى كان من أهم الزعماء الشعبيين الكبار البارزين في شمالي سورية.

الحوراني والكلية العسكرية في حمص:

ـ وبعد الاستقلال وسّع الحوراني نفوذه في الجيش بإقامة اتصالات مستمرة مع طلاب الكلية العسكرية في حمص مثل ـ نخلة كلاس مدرس التاريخ ـ وخليل كلاس أحد أشقائه الذي أصبح في سنة ١٩٥٥ أول وزير بعثي للاقتصاد في الوزارة السورية، وشقيقه الأكبر بهيج كلاس الضابط المهم في الكلية...

كل ذلك بالإضافة للجناح الثاني المؤازر للحوراني وهو جناح الفلاحين الذين أوجدهم في القرى المحيطة بحماه معقل الإقطاع، وفي السهل العظيم الممتد بين دمشق وحلب حتى رأى نفسه أخيراً وجهاً لوجه مقابل العائلات الإقطاعية الهامة «العظم والبرازي والكيلاني». التي حكمت حماه لفترة طويلة وسخرت جهاز الدولة ورجال الدرك، وموظفي الإدارات الحكومية المحلية مرغمين جميعاً على خدمتهم...

ولما جاء إلى دمشق سنة ١٩٤٣ كنائب في البرلمان التقى بالأستاذين المدرسين خريجي فرنسا (ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار) حيث نشرا بين الشباب الحركة اليسارية العربية القومية (حزب البعث العربي الاشتراكي) وقد تحالف الحوراني معهما فيما بعد لإنتاج أكبر قوة ديناميكية في السياسة السورية[2].

الزعيم يمهد لانقلابه العسكري

وعندما وصل الزعيم إلى رئاسة الأركان أخذ طموحه ينمو ويتوسع باتجاه رئاسة خاصة بعد ما رأت أمريكا ضرورة توصيله للرئاسة لتحقيق مخططاتها، ومن أجل صعوده إلى الواجهة وتحقيق الانقلاب فراح مايلز كوبلاند[3] يعمل على خلق تذمر من

١- باترك سيل ص ٦٣.

٢- باترك سيل ص ٦٣.

٣- مايلز كوبلاند والمجرميد.

الحكام، واستمالة الضباط إلى جانبه وقد جاءت الفرصة مناسبة أو بالصدفة، عندما علم الرئيس شكري القوتلي بأن الطعام الذي كان يقدم للجيش كان فاسداً فقام بزيارة مفاجئة لأحد مستودعات مديرية التموين، ولبعض مطابخ الجيش فوجد أن مادة السمن في تلك المستودعات والمطابخ ليست إلا شحوماً متعفنة، تتصاعد منها الروائح الكريهة، في حين كان من المفترض أن تكون من أفخر أنواع السمن العربي، كما وجد أن بقية المواد من أرز وفاصولياء وحمّص وغيرها تعبث فيها الفئران، واللحوم غير صالحة للاستهلاك البشري، فأمر على الفور بتشكيل لجنة للتحقيق مع مدير التموين المقدم (أنطوان بستاني)، فأكدت التحقيقات مسؤولية البستاني وبعض معاونيه في التواطؤ مع المتعهد لقاء مبالغ مالية كبيرة[1]، فأحال القوتلي جميع المسؤولين إلى السجن والمحاكمة، ولم يعلن عن توقيف العسكريين كالبستاني ورفاقه حرصاًعلى سمعة الجيش.

فاستغل الزعيم هذه الحادثة وراح يتنقل بين القطعات، ويثير غضب الضباط والجنود، على القوتلي والوزراء الذين أودعوا رفاقهم العسكريين والضباط مع القتلة واللصوص في السجون حسب تعبيره.

كما استغل الزعيم حادثة أخرى لاستمالة ضباط الجيش وهي: إلقاء قنبلة هجومية من قبل أحد الشرطة العسكرية، بتكليف من قائد الشرطة إبراهيم الحسيني[2] على بيت النائب فيصل العسلي ـ رئيس الحزب التعاوني الاشتراكي، الذي كان ينتقد حسني الزعيم في مجالسه لسوء أخلاقه وشذوذه، حيث قام العسلي بعد ذلك بشن حملة شعواء على الزعيم عندما شرح وقائع الاعتداء على بيته في المجلس النيابي أمام أعضاء المجلس واصفاً الزعيم بالشذوذ الأخلاقي، وقد قام بعض النواب بمشاركته بهذه الحملة، فاستغل الزعيم بدوره مجريات جلسة المجلس النيابي، وصار يستثير الضباط قائلاً لهم:

(اسمعوا كيف يشتمون قائدكم ويهينونه على المنابر)...!

١- سامي جمعة ص ٨٥.

٢- سامي جمعة ص ٧١.

obeikandi.com

قبل قيام حسني الزعيم بانقلابه، اجتمع عدة مرات بالسيد أكرم الحوراني بتخطيط من العقيد بهيج كلاس وفي بيت شقيقه خليل كلاس[1]، وكان يحضر أكثر الاجتماعات نخلة كلاس ـ مدرس مادة التاريخ العسكري في الكلية العسكرية.

وكان أكرم الحوراني قد دخل المجلس النيابي على لائحة الإقطاعي الكبير فريد العظم، وكان الحوراني يشجع الزعيم على القيام بالانقلاب، ويعده بتأمين الدعم الشعبي له.

أما بالنسبة للزعيم فقد كان ينفذ السيناريو الذي وضعه له الأميركيون ـ مايلز كوبلاند والميجرميد ـ الضابط والسياسي بالسفارة الأميركية بدمشق.

ويروي سامي جمعة أن سعيد حبي رئيس الشعبة الثانية قال له أثناء المرحلة الأولى من حكم الزعيم: إن أكرم الحوراني وخليل كلاس كانا يسهران إلى جانب حسني الزعيم، وفي مبنى الأركان، وقد قاما بصياغة البلاغ رقم واحد[2] الذي أعلن بموجبه الانقلاب، وقد قام الزعيم بعد نجاح الانقلاب بتعيين أكرم الحوراني وعلي بوظو، مستشارين سياسيين له، وقد استمر الحوراني إلى جانب حسني الزعيم، حتى قام الزعيم بتسليم أنطوان سعادة للسلطات اللبنانية.

ويزيد سامي جمعة عن رواية سعيد حبي قائلاً:

حتى الرسالة التي نسبت للأستاذ ميشيل عفلق والتي أرسلها للزعيم من سجن المزة، يستعطفه فيها إطلاق سراحه، كانت من وضع أكرم الحوراني وخليل كلاس الذي أرسلها مع أحد الضباط إلى الأستاذ ميشيل عفلق في سجن المزة وأوصاه بأن يكتب الرسالة بخط يده إلى الزعيم..؟؟

ولما أصدر الزعيم أوامره بالإفراج عن عفلق، ذهب العقيد بهيج كلاس إلى سجن المزة وفتح باب زنزانة ميشيل عفلق فأخرجه منها وأوصله بسيارته إلى بيته.

١- سامي جمعة ص ٧١.

٢- سامي جمعة ص ٧١.

obeikandl.com

الانقلاب[1]

إن الحوراني نفسه لم يخطط الانقلاب لكن اثنين من أكثر مساندیه العسكريين حماسة هما اللذان فعلا ذلك، إنهما بهيج الكلاس وأديب الشيشكلي، اللذان أصبحا أقرب الزملاء الداعمين للزعيم، كما انضم الحوراني إلى الحكم الجديد في أيامه الأولى...

وكان الكلاس نائب الزعيم في القيادة، بينما قاد الشيشكلي وحدات المشاة والمدرعات التي نفذت الانقلاب، لقد نظم قواته في قطنا التي تبعد ثلاثين كيلومتراً عن دمشق حيث تلقى الأمر بالزحف إلى العاصمة في الثانية والنصف صباح الثلاثين من آذار[2].

(فضل الله أبو منصور ص ٤٧)

المشهد:

إحدى الفصائل ألقت القبض على رئيس الجمهورية في المستشفى حيث كان يعالج من قرحة في المعدة ومرض في القلب، وقبضت أخرى على رئيس الوزراء، وثالثة تسلمت محطة الإذاعة، واحتلت رابعة قيادة الشرطة والأمن العام، وخامسة قيادة الدرك، وسادسة بناء الهاتف الآلي، وتسللت وحدات أخرى إلى أهدافها والمدينة نائمة إلى أهدافها المرسومة لها لتقبض على مدير الشرطة وقائد الدرك، وعدد من الوزراء والنواب بينهم فيصل العسلي الذي استاء منه العسكريون ومن تهجمه على الجيش في المجلس النيابي وقطعت الاتصالات مع العالم الخارجي، وأغلقت الحدود.

وعلقت صحيفة التايمز اللندنية تقول: إن الانقلاب كان ناجحاً ولم ترق فيه نقطة دم... استقبل الشعب أخبار الانقلاب في الصباح بثورة من الغضب والابتهاج. ويقال إن الزعيم أمر بأن يطاف في المدينة برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، في عربة مدرعة مغلقة، لمشاهدة الشعب بنفسيهما وهو يرقص في الشوارع..

كان انقلاب الزعيم الناجح أول تدخل للجيش في السياسة في منطقة الشرق

١- باترك سيل ص ٦٩.

٢- أحمد عيسى: سورية الجديدة ص ٣٣.

obeikandl.com

الوسط وقد تلا ذلك فيما بعد عدة انقلابات متتالية ومختلفة. لكنها اعتمدت بشكل عام على الضباط والعسكريين وفسحت المجال لتدخلهم في السياسة.

ونبهت السياسيين لأهمية تثقيف الشباب سياسياً داخل الجيش وخارجه لمنحهم نظرة جديدة للسياسة وتطلعات أوسع لصالح العرب عموماً.

أثار هذا الانقلاب منذ اللحظة الأولى لنجاحه التنافس والمزايدات على سورية خاصة من دول الأقطار العربية المجاورة، الذين راحوا يتدفقون على دمشق في مهام استكشافية.

وكانت مصر قد ربحت معركة الجامعة العربية سنة ١٩٤٥، وفرضت على الدول العربية نمطاً من العلاقات بقي لها الدور الرئيسي فيها، لقد منح ترتيب الجامعة آنئذٍ الزعامة إلى مصر. وقضي على مشروعي سوريا الكبرى والهلال الخصيب.

لكن الثقة بالجامعة العربية قد نزعت عند إخفاق تدخلها في فلسطين وأدت الهزيمة لحالة من الانعزالية في مصر، ودافعاً نحو الوحدة.

في الأقطار العربية الآسيوية التي تهددها القوة الإسرائيلية بشكل مباشر، فكان الخطر المشترك دافعاً بها نحو الوحدة.

فراح حزب الشعب الذي تشكل أصلاً لتمثيل حلب والشمال السوري، رأى في الاتحاد مع العراق ضماناً للاستقرار والازدهار في البلد وحالما مال حزب الشعب نحو العراق تعلق القوتلي والحزب الوطني بمصر والمملكة العربية السعودية كبلدين يتسابقان لمساندة الزمر السياسية السورية وأخذت الرشاوى تتدفق منهما إلى سورية[١].

وفي الأول من نيسان ١٩٤٩ أرسل بابان المبعوث العراقي في دمشق (تقريراً إلى بغداد ذكر فيه أنه اتصل بسيد دمشق الجديد، ونقل إليه استعداد العراق لمده بالمعونة التي يحتاجها[٢].

حكم الزعيم

دام حكم الزعيم حوالي ١٣٥ يوماً ترك خلالها على سورية علامات ثابتة إذ كان نموذجاً للطغاة العسكريين تبعه الكثيرون فيما بعد، لذلك فقد عزز الجيش وأعاد

١- باترك سيل ص ٧٢.

٢- تقرير رسمي عراقي مؤشر عليه (سري جداً) ومعنون: مجرى الحوادث المتأتية للحكومة العراقية.

obeikandl.com

تسليحه ورفع من معنوياته، وألحق به الشرطة والدرك ليحكم سيطرته عليه وقد أصبح من الصعب على الجيش التخلص من دوره السياسي، وقد طهر الجهاز الحكومي وأدخل على مناهج جامعة دمشق ونظامها الأساسي كل ما هو عصري وحديث، وعقد اتفاقية مرور أنابيب النفط عبر سورية، ولأول مرة منحت المرأة السورية حق الانتخاب، ومنع ألقاب (باشا وبيك) وأمثالها المستوردة من الخارج.

وأمر بإحلال قوانين مدنية وجنائية وتجارية عصرية محل قانون الشرعية الإسلامية، كما عين محافظين جدد يتمتعون بكلتا السلطتين المدنية والعسكرية، وقد أرسلهم إلى محافظاتهم بطائرات عسكرية ليستقبلهم حرس الشرف في كل محافظة ويتنقلون داخل محافظاتهم بمواكب خاصة تحيط بهم الشرطة العسكرية على دراجاتهم النارية ليعزز مكانتهم في عيون الجماهير.

وقد اعتز الجمهور في هذه التغييرات، واعتبرها تأكيداً على بداية مرحلة جديدة حاسمة في الحياة الوطنية[1].

وقد هز كل ذلك مجتمع دمشق وأخرجه من تعصبه الشديد الصارم للتقاليد الدينية، وامتلأت الشوارع بذوي القبعات الأوروبية، وبرزت النساء أكثر حرية في الحياة العامة، ورقصت الكثيرات على الأنغام الموسيقية الأجنبية في النوادي والمقاصف الليلية.

مع كل هذا فقد أطارت السلطة بلب الزعيم وبدا اقل نجاحاً بمناوراته السياسية، وقد قلق منذ البداية لعدم شرعية حكمه، وأصبح همه الأساسي أن يصبح رئيس جمهورية يتساوى مع الملوك ورؤساء الدول الذين أصبح عليه الآن أن يتعامل معهم...

إلا أن طموحه هذا ومزاجه العصبي المندفع، قاده إلى إبعاد مؤيديه واحداً بعد الآخر.. وقد ذكر الأمير عادل أرسلان لصحيفة الحياة البيروتية[2] أنه كان عرضة لنوبات تفقده كل منطق.

ويرى أكثر الساسة في ذلك الوقت أن تعطشه للسلطة قاده إلى حل الأحزاب في أيار ١٩٤٩، وميله إلى عقد هدنة مع إسرائيل تتيح له سحب جيشه من الجبهة لتقوية وضعه

١- ميدل است جورنال العدد الرابع ١٩٥٠.

٢- الحياة بيروت ٢٣ آب سنة ١٩٤٩.

obeikandl.com

في الداخل ولنفس السبب راح يتهم الأردن والعراق بتهديدهما الحدود السورية، وأهم من ذلك أنه أخذ يزحف تدريجياً باتجاه نحو الأبهة التي تفرضها السلطة الفردية المطلقة، فتخاصم مع أشهر الضباط من أصحابه الذين خطط ونفذ معهم الانقلاب.

لذلك خاصمه حزب الشعب الذي كان أول من هلل لتسليم الزعيم السلطة، فاستقال فيضي الأتاسي من وزارته بعد ثلاثة أيام من تشكيلها في ١٦ نيسان، كما عارض حزب البعث بدوره القيود التي فرضت عل الصحافة ونمو جيش المخبرين في جهاز المخابرات وقد حذر الحزب الزعيم في مذكرة قدمها إليه في ٢٤ أيار ١٩٤٩ من الوقوع في أخطاء نظم الحكم السابقة بالتزام هذا الجانب أو ذاك في الخلافات بين الدول العربية، وطلب الحزب اجتماعاً به لعرض وجهة نظره في القضايا الدستورية وحقوق العمال ـ ورد الزعيم على ذلك باعتقال ميشيل عفلق وزعماء حزب الشعب (رشدي الكيخيا ـ وناظم القدسي ـ وفيصل الأتاسي) وجدد الأردن والعراق حملاتهما الإعلامية عل الزعيم بمناسبة اقتراب يوم الاستفتاء وانتخاب رئيس الجمهورية.

انتخابات رئيس الجمهورية

كان الزعيم هو المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية لذلك فقد انتخب بأغلبية ساحقة وقد تخلى الزعيم في اليوم نفسه ٢٥ حزيران عن رئاسة الوزارة، واستدعى محسن البرازي لتشكيل الحكومة وهو محام ثقافته فرنسية، وكان قبل الانقلاب مديراً لمكتب القوتلي (الموثوق به) وقد أضاع الرئيس لبه بعد النجاح، فأصدر مرسوماً في اليوم التالي بعد الاستفتاء، ينص على أن رئيس الدولة يجب أن يحمل رتبة مشير إذا كان رجلاً عسكرياً، وارتدى بدلته العسكرية الفخمة وحمل عصى المارشالية وثمنها ثلاثة آلاف دولار (يمكن أن تشاهد في المتحف العسكري بدمشق) وراح يختال مزهواً بنفسه يمشي كالطاووس في البيت، وفي الشارع أحياناً، وأهدى للملك فاروق جوهرة ثمينة صنعها خصيصاً للمناسبة باعتبار أنها وسام سوري، وأمر رئيس مكتبه العسكري بوضع خطط لتنظيم حرس خاص من المسلمين اليوغسلافيين يقسمون على الولاء له فقط.

إنما الرغبة التي نشد فيها عقد اتفاقية الهدنة أتت صدمة لأتباعه، فقد بدأت المحادثات الرسمية مع إسرائيل يوم ١٢ نيسان وكادت أن تنتهي باتفاقية في الشهر ذاته

obeikandl.com

كما يقول الأمير عادل أرسلان لو لم يعد فوزي سلو رئيس الوفد السوري المفاوض، مطالباً بشروط أفضل من تلك التي كان الزعيم على استعداد للقبول بها[1] وهكذا أخذ الزعيم يخفف علاقاته بالقوى التي أتت به إلى السلطة، واعتمد بمهام الحاميات في المدن الرئيسية على الوحدات الشركسية والكردية مبعداً القوات العربية الصرفة إلى الجبهة.

بالنسبة لاتصال الزعيم بإسرائيل:

ذكر سامي جمعة في كتابه (أوراق من دفتر الوطن) ما يلي[2]:

إن الزعيم اجتمع بموشيه شاريت وزير خارجية إسرائيل مرتين في قصره الصيفي في فندق بلودان حيث كان يحضر موشيه شاريت للفندق مع المقدم إبراهيم الحسيني مرتدياً بذلة عسكرية سورية عليها رتبة مقدم.

الاجتماع الأول في بداية شهر حزيران:

وصل الزعيم كعادته حوالي الساعة العاشرة صباحاً إلى الفندق، وبصحبته النقيب رياض الكيلاني ـ وبعد برهة وصل صلاح الطرزي، ثم تبعهم الجنرال التركي فؤاد أورباي، والميجرميد.

ثم وصلت سيارة فورد بوكس كانت تقل الحسيني وبجواره على المقعد الخلفي ضابط يرتدي زي ضباط الجيش السوري برتبة مقدم (موشي شاريت) واستمر الاجتماع مع الضابط المجهول والزعيم وعادل أرسلان والطرزي حتى الثالثة مساء... حيث ودعه الزعيم حتى باب الصالون مصافحاً إياه بحرارة واهتمام..

بعد أربعة أيام تكررت الزيارة فجاء الحسيني ومعه موشيه شارتوك ـ واستمر الاجتماع حتى الساعة الثانية عشرة.

ودققت أنا والعقيد حبي بشكل المقدم وصورته حتى تأكدنا أنه موشيه شاريت، وقال العقيد حبي في المساء للسيد سامي جمعة:

لقد كانت لدي معلومات عن اتصالات تجري بين الزعيم وإسرائيل لإبرام معاهدة

١- الحياة بيروت ١٨ آب ١٩٤٩. باترك سيل ص ٩١.

٢- أوراق من دفتر الوطن ص ٦٥-٦٦.

obeikandl.com

الصلح، وأن عدة اجتماعات قد عقدت في الجاعونة على الحدود السورية الفلسطينية، بين ممثلين للزعيم وممثلين إسرائيليين لبحث الموضوع ولكن لم أكن أتصور أن تبلغ الوقاحة بالزعيم أن يأتي بموشيه شاريت إلى بلودان.

إن هذا العهد لن يستمر وهذه النار التي أوقدها الزعيم سوف يحترق بها، وبالفعل لم تمض عدة أيام حتى شكل العقيد حبي وفداً من رفاقه الضباط (عزيز عبد الكريم ـ محمود بنيان ـ أديب الشيشكلي) وذهبوا إلى بيت الزعيم وواجهوه بما علموه حول عزمه إبرام معاهدة الصلح مع إسرائيل، فنهرهم قائلاً: هذه سياسة عليا.

وفي صبيحة اليوم التالي صدر أمر بنقل هؤلاء الضباط من المراكز القيادية، إلى مراكز أخرى غير مؤثرة بالأحداث، وفي الوقت نفسه كان العد العكسي لانتهاء عهد الزعيم قد بدأ بالفعل وبخطوات متسارعة...

الانقلاب الثاني

انقلاب سامي الحناوي

سامي الحناوي

جاء انقلاب حسني الزعيم (الانقلاب العسكري الأول في سورية) بالرغم من مساوئ القائم به ليعبر عن آلام شعبية متراكمة منذ أمد بعيد، فقد أتى تعبيراً عن إدانة الرأي العام للوضع السياسي والحكومي الفاسد[1]. خاصة بعد نكبة فلسطين ١٩٤٨ ـ ويمكن تلخيص أسباب الانقلاب الثاني انقلاب سامي الحناوي عليه بما يلي:

١ـ الحكم الدكتاتوري الذي راح ينفذه وينفذ الرغبات الأمريكية التي يمليها عليه ـ مايلز كوبلاند ـ والميجرميد.

٢ـ اتجاه المصالحة مع إسرائيل واجتماعه أكثر من مرة مع (موشي شاريت) في بلودان والتخطيط للصلح كما ذكر الأمير عادل أرسلان في مذكراته.

١- باترك سيل ص ١٠٤.

obeikandl.com

٣ـ توقيع اتفاقية التابلاين.

٤ـ إصراره على تشكيل الفرقة الأجنبية من العناصر غير العربية لحماية نظامه ليحقق عامل التوازن مع بقية تشكيلات الضباط في الجيش التي تحاول الانقضاض عليه.

٥ـ نشاط الحكومة التي لم يعجبها اتجاه الزعيم باتجاه مصر والسعودية. وقد وقع اختيار العراق على سامي الحناوي وصهره أسعد طلس للإطاحة بالزعيم علماً بأنه لم يكن يتمتع بالمؤهلات المطلوبة التي تساعده على البقاء في السلطة ولم يمارس أية قيادة سياسية فعالة في تمرده.

٦ـ موقف الزعيم أكرم الحوراني الذي كان مع أصدقائه أقوى وأقدم المساعدين للزعيم، لكن تحالف الزعيم مع عشيرة البرازي الأعداء التقليديين للحوراني في حماة أوقع الخلاف بينهما.

وصار الزعيم يشك بإخلاص أصدقاء الحوراني العسكريين خاصة بهيج كلاس وأديب الشيشكلي حيث، سرحهم الدكتاتور من الجيش في آب ١٩٤٩[١].

١ـ موقف الملازم الأول فضل الله أبو منصور الذي ذكر في كتابه، أنه كان هناك تواطؤ عراقي مباشرة، وأن دوره لم يكن أكثر من منفذ في نهاية سلسلة طويلة من القادة، وقد اختير للضغط على الزناد فقط لأن له أسبابه الخاصة لقتل الزعيم[٢].

«فقد كان عضواً في الحزب القومي السوري، وكان مخلصاً لزعيم الحزب أنطون سعادة الذي سلمه حسني الزعيم للسلطات اللبنانية التي أعدمته فوراً» بالإضافة لأنه كان على رأس رتل من المصفحات بإمكانه الوصول بسهولة إلى العاصمة.

١ـ خسارة الدعم والولاء من أبناء جبل العرب، الذين هللوا لانقلابه في البداية، لكن ظهور انحرافه ومفاسد حكمه، واتصالاته المريبة بالخارج خاصة بإسرائيل، دفعهم للتخلي عنه.

ويذكر باترك سيل في كتابه ص ١٠٥ ما يلي:

١- باترك سيل حديث مع حسن ألأطرش في بيروت، تشرين الأول ١٩٦٠ ص ١٠٥-١٠٦.

٢- فضل الله أبو منصور كتابه الأعاصير ص ٨٣.

obeikandl.com

عندما كان الزعيم يعد لانقلابه، وقبل حدوثه بمدة شهر تقريباً، اجتمع سراً بالأمير حسن الأطرش، الذي وعده بدعم الجبل له ضد القوتلي لكنه بعد ما تملك بالسلطة جيداً تحول إلى مصر والمملكة العربية السعودية، فخسر ولاء أبناء الجبل وكانت تساوره الشكوك بأنهم يتآمرون عليه مع الهاشميين وحزب البعث، فأرسل حامية عسكرية كبيرة إلى الجبل ليلقي الرعب بنفوس سكانه، وقد رأى الضابطان ـ أمين أبو عساف وفضل الله أبو منصور ـ من أبناء الجبل، أن في هذا التحرك تهديداً لبيوتهم وعائلاتهم وتهديداً لقيادتهم، كما روى حسن الأطرش لباترك سيل، أنه قابل الحوراني الذي كان يرى وجوب إزاحة الزعيم.

وأن الضباط من أبناء الجبل يجب أن يسهموا في ذلك.. كل ذلك شجع الحناوي على انقلابه.

تنفيذ الانقلاب

لما تشجع الحناوي على انقلابه، أمر بسحب القوات من الخطوط الأمامية للجبهة إلى قطنا، بحجة أن الدبابات والمصفحات بحاجة لبعض الإصلاح، وقبل فجر ١٤ آب سنة ١٩٤٩ تحركت القوة إلى العاصمة لتقوم بالانقلاب على حسني الزعيم.

وبعد أربعة أشهر ونصف من تسلمه للسلطة (١٣٥ يوم) اتجهت على شكل مفارز صغيرة من المصفحات والسيارات العسكرية، كل منها من آليتين أو ثلاثة إلى منزل، رئيس الوزراء ورئيس الشرطة العسكرية إبراهيم الحسيني، ومراكز الدرك والشرطة والهاتف الآلي، ومحطة الإذاعة والبنك المركزي، وتولى الضابط فضل الله أبو منصور قيادة قوة مؤلفة من ٦ مصفحات، اخترقت شوارع المدينة الصامتة إلى قصر الرئاسة، وبعد أن طوق القصر واستسلم رئيس الحرس ورجاله دون مقاومة، ودخل فضل الله أبو منصور إلى الداخل ليواجه الزعيم مرتدياً بيجامته في القاعة، فصفعه على وجهه ووجه إليه تهمة الغدر بأنطون سعادة، فشد وثاقة ثم وضعه في مصفحة نقلته إلى موقع سبق تحديده، ثم لحقه للموقع بعد قليل محسن البرازي الذي قبض عليه بنفس الوقت[1]، ثم ابلغ الرئيس مريود فضل الله أبو منصور، بأن القيادة العليا قد حكمت على الزعيم

١- فضل الله أبو منصور كتابه ألأعاصير ص ٨٣.

obeikandi.com

والبرازي بالموت[1]. وأمره بتنفيذ الحكم فوراً، عندها أعدما رمياً بالرصاص، وأعلنت أنباء الانقلاب إلى الجماهير في الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم[2].

عهد الحناوي

يتميز عهد الحناوي بقصر مدته: ومنذ اليوم الأول للانقلاب أدرك الناس هويته العراقية البريطانية[3]، وقد شكلت الوزارة برئاسة السيد هاشم الأتاسي، واستلم السيد ناظم القدسي وزارة الخارجية.

هاشم الأتاسي	(رئيس الوزراء)	حزب الشعب
ناظم القدسي	(وزارة الخارجية)	حزب الشعب
فيضي الأتاسي	(وزارة الاقتصاد الوطني)	حزب الشعب
رشدي الكيخيا	(وزارة الداخلية)	حزب الشعب
خالد العظم	(وزارة المالية)	مستقل
سامي كبارة	(وزارة العدل)	مستقل
أكرم الحوراني	(وزارة الزراعة)	مستقل اشترط لدخول الوزارة، إطلاق يده انتخابياً في ريف حماه وإعادة الضباط الذين سرحهم حسني الزعيم وعلى رأسهم الشيشكلي.
ميشيل عفلق	(وزارة التربية)	البعث اعترافاً بتأثيره المتزايد في الوسط الطلابي
الجنرال عبد الله عطفه	(وزارة الدفاع)	مستقل
مجد الدين الجابري	(أشغال عامة)	مستقل
عادل العظمة	(وزارة الدولة)	الحزب الوطني
فتح الله أسفون	(وزارة الدولة)	حزب الشعب

١- باترك سيل ص ١٠٧.

٢- باترك سيل ص ١٠٩.

٣- سامي جمعة ص ٩٦.

openkandil.com

هكذا كانت أغلبية الوزراء من حزب الشعب المعروف بارتباطه ببريطانيا وبنوري السعيد والوصي عبد الإله بالذات من حكام العراق ومن بداية الانقلاب رأى الحناوي ضرورة توضيح أهدافه.

فقام بعد تشكيل وزارة الأتاسي بحركة إعلامية مسرحية إذ استقل سيارة جيب مكشوفة توجه بها إلى سرايا الحكومة، فتوقف أمام سرايا الحكومة، وترجل من سيارته وهو بكامل ثياب الميدان مرتدياً الخوذة العسكرية.

وقد قابله الأتاسي، وبعض وزرائه على درج السرايا واقفين باتجاهه، حيث أدى الحناوي التحية العسكرية وصاح بأعلى صوته: سيدي الرئيس، إن الجيش قد قرر العودة إلى ثكناته، مبتعداً عن أي نشاط سوى الدفاع عن حدود الوطن، وهو يترك البلاد أمانة غالية بين أيديكم، واختتم كلامه بأداء التحية العسكرية مرة أخرى... فصفق له الأتاسي ووزراؤه وحشد الناس الحاضرين، وتعانقا، ثم انصرف الحناوي بسيارته الجيب العسكرية دون أن يتخطى باب سرايا الحكومة... وقد رأى المحللون السياسيون في ذلك الوقت، أن السيد سامي الحناوي: طيب القلب، درويش في أكثر الأحيان لم يفكر من قبل كثيراً في السياسة، فهو رجل عسكري انضباطي، ولولا عديله أسعد طلس لما قام بأي عمل أو نشاط ولما لمع اسمه كبطل من أبطال الانقلابات في سوريا.. أما أسعد طلس الذي أصبح في عهد الحناوي الرجل الأول في سوريا، فقد كان سابقاً موظفاً كبيراً في وزارة الخارجية، وقد اضطهده حسني البرازي لما كان على رأس وزارة الخارجية وفي عهد حسني الزعيم منعه من دخول وزارة الخارجية وكان يتعمد إذلاله.. حتى استعاد مركزه الرفيع في عهد الحناوي، فأصبح الآمر الناهي في قيادة الجيش وحزب الشعب وكان كل ما يتعلق بمشروع الاتحاد بين سوريا والعراق يمر من خلاله أو نتيجة تخطيطه وتوجيهه، فأصبحت الأموال العراقية تتدفق على سوريا، فازدهر بنك الرافدين، وانتعش جميع موظفي السفارة العراقية في دمشق، وبالمقابل تدفقت الأموال أيضاً من السعودية ومصر وفرنسا وأمريكا والأردن لمقاومة وإحباط ذلك المشروع[1]، وهنا أخذ العراقيون يلحون على المفاوضين السوريين، لاختزال

١- باترك سيل ص ١١٨.

obeikandi.com

الوقت، واستكمال الإجراءات اللازمة لتحقيق الاتحاد العراقي السوري.

وكان هاشم الأتاسي فيما بعد قد قدم استقالة وزارته بعد انتخاب الجمعية التأسيسية، وأصبح رئيساً للدولة، في حين تسلم ناظم القدسي رئاسة الوزراء الجديدة، وتم الاتفاق على سن دستور جديد للبلاد، يمهد لإعلان الاتحاد، وربما دخول جيش جديد للبلاد تحت ستار الجيش العراقي.

الانقلاب الثالث

انقلاب أديب الشيشكلي الأول

سيجارة بين شفتي الشيشكلي...
سيجارة لا تزال في بدايتها

حصل انقلاب الشيشكلي دون إراقة دماء، وتميز بدهاء الشيشكلي ومناوراته السياسية، حيث استمر في الحكم (٤ سنوات)، أطول مدة لرجال الانقلابات العسكرية وقد بدا لجميع المراقبين السياسيين أن الشيشكلي قام بانقلابه في التاسع عشر من كانون الأول سنة ١٩٤٩، ليدافع عن نظام الحكم الجمهوري في سوريا وينقذها من النفوذ البريطاني والوحدة مع العراق الملكي، لقد هيمن في الأشهر القليلة التي سبقت الانقلاب، موضوع الوحدة العراقية السورية المطروحة وقد دفع النصر الذي أحرزه حزب الشعب أكثر الناس، إلى توقع خطوة فورية باتجاه العراق، وقد قوّى وجهة النظر هذه، انتخاب زعيم الحزب رشدي الكيخيا لرئاسة المجلس النيابي الجديد في الثاني عشر من كانون الأول، وبعد ذلك بيومين فقط، انتخب هاشم الأتاسي رئيساً مؤقتاً للدولة بسلطات تشريعية وتنفيذية خاصة وتعليق إعلان الدستور ـ وكان الخلاف على نص القسم الذي سوف يؤديه رئيس الدولة وأعضاء الجمعية التأسيسية فرصة لقيام الصراع بين المؤيدين للوحدة ومعارضيها، إذ قام ثلاثة نواب معروفين تماماً بتعاطفهم مع الهاشميين وهم:

obeikan.com

(**حسني البرازي، وحسن الحكيم، وزكي الخطيب**)، بإعداد مسودة القسم:

يتعهد المحلفون أمام الله (بأن يحترموا القوانين، ويصونوا استقلال الوطن وسيادته ووحدته، وأن يحافظوا على الخزينة العامة، ويعملوا لتحقيق وحدة البلاد العربية).

ولكن هذا النص لم يشر أبداً إلى النظام الجمهوري في سوريا ـ وهذا الحذف أثار حفيظة المعارضين للوحدة واستمدوا منه نظرة تشاؤمية ملخصها وقوع سوريا في أحضان بريطانيا والعراق فقاد كل من (أكرم الحوراني وعبد الباقي نظام الدين) ـ المعارضة في المجلس النيابي، يدعمهم زعيم الجبهة الإسلامية الاشتراكية (مصطفى السباعي) لسقوط القسم في التصويت لكن حزب الشعب وبعض أتباعه من المستقلين، استطاعوا الحصول على أغلبية سهلة، وتمت الموافقة على نص القسم دون أي تعديل.

لما صوت المجلس التشريعي إلى جانب قيام الوحدة، كذلك كان الزعيم سامي الحناوي رئيس الأركان أداة طيعة في أيدي الحاشية الموالية للعراق لذلك شعر المعارضون للوحدة خاصة من كان منهم في الصف الأول من الصراع مثل أكرم الحوراني وأديب الشيشكلي بضرورة التدخل بسرعة لمنع قيام أي اتفاق فوري مع العراق.

يذكر باترك سيل في كتابه (الصراع على سوريا) ص ١١٩ ما يلي:

في ليلة التصويت زار أكرم الحوراني المقدم أمين أبو عساف والنقيب فضل الله أبو منصور الضابطين من الدروز اللذين نفذا انقلاب الحناوي، وكانا لا يزالان على رأس سلاح اللواء الأول في الجيش وقال لهما: أنتما فقط تستطيعان إنقاذ البلد ووضع نهاية لهذا الفساد، وسيسجل التاريخ منجزاتكما ويقدر عملكما فإذا ترددتما ولو لبضعة أيام، فإن الفرصة ستضيع، وسيدخل جيش إمبريالي سوريا، تحت ستار من الجيش العراقي، وسيستعبد ويخضع بلدنا من جديد[1] وقد تعهد الضابطان بعد أن كسبهما الحوراني بالتماسه بالقيام بعمل حازم لإنقاذ البلاد.

وفي صباح التاسع عشر من كانون الأول سنة ١٩٤٩

بدأ تنفيذ الانقلاب بأمر من أديب الشيشكلي، حيث قام النقيب فضل الله أبو

١- باترك سيل ص ١١٩ (فضل الله أبو منصور ـ الأعاصير ص ٩٦).

obeikandl.com

منصور، وبمساعدة بعض صغار ضباط المدرعات في القابون باعتقال العقيد عبارة وأركان قيادته، وحرك المدرعات التي كانت بقيادته وبقية الضباط الموالين له، فاحتلت بعض المراكز الرئيسة الهامة في دمشق، وقام البعض الآخر بتنفيذ اعتقال (الحناوي ومعروف والرفاعي والبرازي وبقية الضباط الموالين لهم).

العقيد أمين أبو عساف: كان الحارس الأول لسامي الحناوي وكان هو الذي اعتقله.

العقيد عزيز عبد الكريم: قام بدور من أخطر الأدوار في الانقلاب الثالث

الزعيم أديب الشيشكلي: تولى رئاسة الجمهورية في تموز ١٩٥٢ وبقي حتى آخر شباط ١٩٥٣.

أما أسعد طلس الدينامو المحرك للحناوي، فقد أفلت من الاعتقال في تلك الليلة، لأنه كان قد دأب على الذهاب إلى بيروت مساء كل يوم... وهكذا نجح الانقلاب بدون إراقة أي نقطة دم.

سلم الشيشكلي بعد نجاح انقلابه للعميد أنور بنود، رئاسة الأركان، واحتفظ لنفسه بمنصب نائب رئيس الأركان ولكن وجود رئيس الأركان كان صورياً، إذ كانت كل أمور الجيش بيد الشيشكلي.

في صبيحة الانقلاب قام وفد من كبار الضباط في الجيش بمقابلة رئيس الدولة هاشم الأتاسي، وشرحوا له أسباب الحركة، والتدابير التي اتخذت، وقطعوا له وعداً صريحاً ــ أن الجيش لن يتدخل في السياسة، وأن الجيش يريد أن تقوم الجمعية التأسيسية بكل مهامها، دون أي ضغط أو تدخل من قبل الجيش الذي وضع أمامه

هدف الحرص على سلامة البلاد، ونظامها الجمهوري[1].

لقد بقيت البلاد بعد رحيل الحناوي لمدة أسبوعين بدون حكومة، فاشتدت المناورات السياسية، حتى تمكن خالد العظم من تشكيل حكومة كانت مشلولة ضعيفة، استقالت بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٩ حتى تمكن ناظم القدسي من تشكيل وزارة جديدة، تم في عهدها التصديق على الدستور الجديد ــ في ١٩٥٠/٣/٢٩، وخولت الجمعية التأسيسية نفسها تشكيل وزارة جديدة، ثم انتخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية وأعاد ناظم القدسي تشكيل حكومة جديدة.

العقيد محمود بنيان: يقول إن ما قمنا به ليس انقلاباً.. أولى أن نسميه شبه انقلاب!

الرئيس هاشم الأتاسي: دخلت عليه في مكتبه في قصر الرياسة وكان يقرأ صحيفة بيروت

العقيد شوكت شقير: دوره في الانقلاب الثالث بارز وهام

لقد أصبح الأستاذ أكرم الحوراني مرجعاً ومقصداً للسياسيين والانتهازيين، باعتباره اشتهر أنه رجل الجيش الأول في الحكومة، وشريك الشيشكلي بانقلابه بعد أن كان وزيراً عادياً في عهد الحناوي، يحاول الكثيرون تجنبه والابتعاد عنه[2].

وفي ١٩٥٠/٧/٣١ عندما أطلقت النار على العقيد محمد ناصر، آمر سلاح الطيران في منطقة كيوان دمشق، بينما كان عائداً من مقر قيادته في المزة، وأصيب ناصر إصابات قاتلة، وقتل مرافقه... في المستشفى الذي أسعف إليه العقيد ناصر، أدلى قبل أن

١- باترك سيل ص ١١١.

٢- سامي جمعة ص ١٠٨.

obeikandl.com

يلفظ أنفاسه الأخيرة، بإشارات للعقيد توفيق نظام الدين، ولمن تولى عملية إسعافه، بأن قاتله هو المقدم ـ إبراهيم الحسيني، ومساعده في الشرطة العسكرية ماجد شاكر.

العقيد نظام الدين: من أنشط صناع الانقلاب، وقد كان من أبسل ضباط حرب فلسطين.

في اجتماع حزب الشعب السوري، أكبر الأحزاب، جلس ناظم القدسي بك يتشاور مع أعضاء الحزب بعد تكليفه بتشكيل الوزارة

وتولى النائب العام العسكري، ومدير العدلية العسكرية التحقيق في الموضوع.. وقد كان العقيد محمد ناصر من ألمع ضباط الجيش السوري.

ومن أعضاء مجلس العقداء الذي تشكل بعد انقلاب أديب الشيشكلي لإدارة أمور البلاد، وهم (العقيد أديب الشيشكلي، توفيق نظام الدين، محمد ناصر، عبد العزيز عبد الكريم، وشوكت شقير).

كان الشيشكلي يخاف من العقيد محمد ناصر لأنه كان حراً ونظيفاً ـ وكان ينادي بإعادة الجيش إلى ثكناته، لأنه كان يعتقد أن مسلسل الانقلابات العسكرية يفتح الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي لذلك كان ينادي صراحة بترك أمور البلاد للسياسيين وعودة الحياة الديمقراطية الحرة للبلاد..

وفي ١٩٥٠/١٠/١٢ تعرض الشيشكلي لحادث اغتيال قرب الربوة وهو مع الملازمين "حسين حدي وبكري زوبري" وقد نجا من الحادث، لذلك عين في اليوم التالي عناصر حماية لمواكبته أينما ذهب، وحرص بعد هذا الحادث على قضاء سهراته في بيته، وبيوت أصدقائه الآمنة من العسكريين أو المدنيين. في ١٩٥٠/٤/١٨ انفجرت قنبلة أمام

مكتب المعلومات الأمريكي في دمشق، وفي[1] التحقيق تبين أن الذين قاموا بالعمل: السيد محيي الدين مراد من مجموعة الدكتور الشهبندر سابقاً وجماعة منير العجلاني والكل من الناشطين لمشروع سوريا الكبرى من جماعة الملك عبد الله ملك الأردن مما يدل على تدخل فاضح للأردن في شؤون سوريا[2].

وبعد التحقيق مع الناشط في المجموعة السيد ـ عدنان مراد ـ تبينت أهداف التنظيم وهي تحقيق مشروع سوريا الكبرى بزعامة الملك عبد الله وإبعاد الجيش عن السلطة والعودة بسوريا إلى الحياة الديمقراطية، وكانت همزة الوصل بين المتآمرين وملك الأردن ـ قاضي قضاة الأردن ومستشار الملك عبد الله الشيخ محمد الشنقيطي.

(وقد أفرج عن الحناوي في ١٩٥٠/٩/١٧ ليقتله أحمد البرازي في بيروت انتقاماً لتنفيذه حكم الإعدام بابن أخيه محسن البرازي، وقد حُكم عليه بالموت في بيروت، وخفف الحكم فيما بعد إلى السجن ١٨ عاماً ودفع مبلغ ٢٥ ألف ليرة لبنانية لعائلة الحناوي[3].

اكتشاف تدخل الأردن في سوريا

في ١٩٥٠/٤/١٨ انفجرت قنبلة أمام مكتب المعلومات الأمريكي في دمشق، وفي[4] التحقيق تبين أن الذين قاموا بالعمل: محيي الدين مراد ـ عدنان مراد ـ منير العجلاتي ـ بهيج كلاس ـ الدكتور أمين رويحه وكانت أهداف هذا التنظيم تحقيق مشروع سوريا الكبرى بزعامة الملك عبد الله ملك الأردن، ثم إبعاد الجيش عن السلطة والعودة بسوريا إلى الحياة الديمقراطية، وكانت همزة الوصل بين المتآمرين وملك الأردن ـ هو الشيخ محمد الشنقيطي ـ قاضي قضاة الأردن وأحد كبار مستشاري الملك عبد الله.

تتابعت الأزمات بعد ذلك

أولاً: بسبب عدم توافر الانسجام بين وزراء خالد العظم وبين المجلس، إذ تقدم بعض

١- باترك سيل ص ١١٩.

٢- سامي جمعة ص ١٠٨.

٣- سامي جمعة ص ١١٦.

٤- باترك سيل ص ١٤٨.

obeikandl.com

أعضاء الكتل النيابية باقتراحات لم توافق عليها الوزارة.

ثانياً: فقد الميزانية، وعدم إقرارها، وتأجيل البحث فيها يوماً بعد يوم.

ثالثاً: إضراب الموظفين الجماعي الذي شل حركة الدولة للمطالبة بتنفيذ قانون ترقية الموظفين، فاضطر خالد العظم للاستقالة، وظهرت بذلك أزمة جديدة، وكان أديب الشيشكلي يقف بالمرصاد لعرقلة أي حل يمكن التوصل إليه من خلال تدخله لإعاقة تنفيذ أي اقتراح يهدف لإنهاء الأزمة السياسية، علماً أنه كان ماهراً في خلق الأزمات السياسية، التي كان يهدف من ورائها القفز إلى سدة الحكم.

وقد سعى الوطني الغيور فارس الخوري لحل هذه الأزمات، وعاد من الأمم المتحدة إلى سوريا وتقدم بمقترحات حلول لتشكيل الوزارة، لكنه اصطدم بتصلب الشيشكلي وتعنته فتخلى عن هذه المهمة وعاد إلى مقر عمله في ٢٨/ آب ١٩٥٠... فاتجهت الأنظار إلى حسن الحكيم الذي ألف وزارة بمساعدة الشيشكلي على الشكل التالي.

حسن الحكيم	**(رئاسة الوزراء والمالية)**	**(مستقل**
فيضي الأتاسي	**(وزارة الخارجية)**	**(حزب الشعب)**
رشاد برمدا	**(وزارة الداخلية)**	**(حزب الشعب)**
فتح الله أسيون	**(وزارة الصحة)**	**(حزب الشعب)**
شاكر العاصي	**(الاقتصاد الوطني)**	**(حزب الشعب)**
الزعيم فوزي سلو	**(وزارة الدفاع)**	
حامد الخوجا	**(الأشغال العامة)**	
عبد الوهاب حومد	**(وزارة العدل)**	
عبد العزيز حسن	**(وزارة التربية)**	**(الجبهة الجمهورية)**
محمد المبارك	**(وزارة الزراعة)**	

ومن الملاحظ أن حسن الحكيم عندما قدم بيانه الوزاري في المجلس النيابي في ١٣ آب وجد أنه من الأدق عدم التعرض لحاجة سورية للاتحاد مع جاراتها وللتعاون مع الغرب، وأعلن بدلاً من ذلك: أن النظام الجمهوري هو، أساس وجود سوريا وسر انبعاثها، أما في الخارج: «ستكون سياسة الحكومة، صداقة نحو الجميع بما يتلاءم

ومصالحنا الوطنية، وبما يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي» فكان أن هدأ الجيش بذلك وكسب الثقة.

جبل العرب

زيارة أديب الشيشكلي للجبل مطلع تشرين الثاني ١٩٥٠

تفاءل بعض الناس خيراً في الجبل بانقلاب أديب الشيشكلي خاصة بعد ما عرفوا أن بعض الضباط المشهورين من أبناء الجبل كان لهم دور رئيس بنجاح الانقلاب أمين أبو عساف ـ فضل الله أبو منصور وفي مطلع تشرين الثاني سنة ١٩٥٠ قام العقيد أديب الشيشكلي نائب رئيس الأركان بزيارة لمحافظة السويداء وأدلى بتصريحاته وعبر عن انطباعاته، وقد تمت هذه الزيارة تلبية لدعوة وجهها له الشيخ داوود أبو عساف، وتناول خلال هذه الزيارة طعام الغداء في بيته في قرية ولغا[1].

برنامج الزيارة[2]: (ورد تفصيل هذه الزيارة بكتاب الحناوي ص ١١٢)

أولاً: يزور العقيد السويداء.

ثانياً: ينتقل العقيد إلى القريا، لزيارة سلطان باشا الأطرش، قائد الثورة السورية الكبرى، ثم يتناول الطعام المعد له ولرفاقه في قرية ولغا:

وقد رافق موكب العقيد الشيشكلي في هذه الزيارة على رتل من السيارات:

العقداء: **(عزيز عبد الكريم قائد سلاح المدفعية ـ سعيد حبي قائد سلاح الطيران ـ محمود بنيان قائد قوى البادية ـ أمين أبو عساف قائد اللواء الأول).**

المقدمون: **(محمود شطرا رئيس الشعبة الثانية للأركان العامة ـ نبيه صباغ رئيس أركان اللواء الأول ـ محمد يوسف مهنا آمر مركز التدريب الأول ـ إبراهيم الأتاسي آمر كتيبة المدرعات الأولى).**

١- جريدة الجبل ٥ تشرين الثاني ١٩٥٠.

٢- الحناوي ص ١١٢

obeikandi.com

والملازمون: (**عبد الحميد سراج ـ مصطفى كمال مالكي ـ هاني قطيني ـ طلال أبو عساف**).

كما رافق الموكب **الأستاذ نجيب حرب: صاحب جريدة الجبل.**

وقد كتبت ما يلي:

قصد العقيد ورفاقه مقر المحافظة في الساعة الثانية عشرة، لرد الزيارة لعطوفة المحافظ (فؤاد الحلبي) واستقبلهم بدار المحافظة «السرايا» زعماء المدينة الكرام والعائلات، ومدير معارف السويداء.

وقد ألقى المحافظ كلمة، رحب فيها بزيارة حماة الوطن وجنوده إلى منطقة جبل العرب التي تقدر البطولة حق قدرها.

كما تكلم كل من السادة: الأمير حسن الأطرش ـ عقلة القطامي ـ محمد عز الدين ـ الأمير توفيق الأطرش ـ المجاهد فضل الله جربوع ـ والوجيه يوسف سرايا ـ والوجيه عبد الكريم نصر ـ الأستاذ جاد الله عز الدين ـ شبلي أبو عسلي. مرحبين بزيارة العقيد، وقادة الجيش السوري مقدرين لهم حرصهم الشديد على استقلال سورية، والذود عن حياض هذا الوطن.. وقد رد العقيد الشيشكلي على خطب الزعماء والوجهاء بكلمة لطيفة جداً قال فيها: أنه يعتبر الجبل حصن الوطن المنيع ويشعر عند زيارته أنه بين أهله وإخوانه.

الوفد إلى القريا:

استقبلهم القائد العام بالتقدير والحفاوة، وبعد تبادل الأحاديث الودية بين القائد العام وقادة الجيش السوري ألقى العقيد الشيشكلي كلمة، هذا نصها كما ورد بجريدة الجبل[1]: **«جئت لأزف التحية»**

ما زلت أذكر وأنا في مستهل الشباب، كيف كنا نتحرق شوقاً لمشاهدتكم في جهادكم الوطني، كما أني ما زلت أذكر قصيدة الشاعر الزركلي قائلاً:

غادر دمشق ويمم دار سلطانا[2]

١- جريد الجبل.

٢- القصيدة ليست للزركلي.

openkanal.com

وبعد ربع قرن نَحِجُّ إلى القريا ، إلى هذا العرين الذي يقيم فيه قطب من أقطاب الجهاد السوري، لنا كل الفخار بأن نكون من تلاميذه، لقد جئت إلى هنا لأرفع إلى عطوفتكم خالص تحيات الجيش السوري، الذي يريد أن يتقن صناعة الموت ليقرر مصير سوريا. إن جيشنا لا مطلب له إلا المحافظة على استقلال سوريا ونظامها الجمهوري.

وقد رد عطوفة القائد العام بكلمة هذا نصها:

عندما أعلنا الثورة في وجه المستعمر الأجنبي، كان هدفنا الوحيد، أن تتحرر هذه البلاد من القيود والسلاسل، وتتمتع بحريتها القادمة، دون أن يكون هنالك أية سلطة غير سلطة الأمة، وما زلنا ندين بهذه الفكرة، فكرة الحرية والدفاع عنها والذود عن حياض هذا الوطن العربي، وإنه يسرني أن يكون في الجيش السوري من القادة الذين يعملون على نمو فكرة الدفاع عن هذا الاستقلال الذي ضحينا في سبيله، والحرص عليه من عبث المتآمرين.

ولما انتقل الوفد إلى قرية ولغا: قال العقيد الشيشكلي كلمته الثالثة:

الأهل أهلي والديار ديار[1] (من قصيدة الشاعر الزركلي)

هذا مقطع من قصيدة لشاعر عربي، قالها عندما كانت ربوع الوطن تتلقى ضربات العدو، وعندما كان هذا العدو يتحضر لغزو أمنع معقل من معاقل هذا الوطن وهو الجبل العزيز... والآن بعد ربع قرن، وبعد أن أثمرت جهودنا وجهادنا جميعاً، لا فرق بين أبناء دمشق أو حلب، أو حمص، أو السويداء، ودرعا واللاذقية والدير والقامشلي أو السهل والجبل أقول:

"الأهل أهلي والديار ديار إننا هنا بين أهلنا وإخواننا، إن جيشكم هو منكم وإليكم، ليس له من هدف إلا وضع هذا الوطن في المكان اللائق به تحت الشمس، وإننا في هذه الغاية مهما اعترضنا من مصائب، ولنا من تعاونكم، وشرف ماضيكم خير مشجع لبلوغ هذا الهدف. عاشت سوريا حرة مستقلة".

١- قصيدة الزركلي ألقيت في القاهرة سنة ١٩٢٥ في مهرجان كبير لنصرة الثورة السورية الكبرى: مطلعها: الأهل أهلي والديار ديار.

obeikandi.com

زيارة الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية الشيشكلي إلى السويداء

بعد زيارة أديب الشيشكلي للجبل جاءت زيارة وزير خارجيته للسويداء وألقى كلمة قال فيها: «إنها سفر خالد، كان جبلكم أول من افتتحه وخط آيات المجد فيه بدماء الشهداء يوم هدرت كرامة الأمة، رفع الجبل راية الجهاد، وأطلقها ثورة وطنية حمراء بدم الشهداء الأبرار.

وقال بلسان سيده الزعيم: إنني إذ أحمل إليكم رسالة جيل من فتيان الجبل من فتيان العروبة من حملة الفكرة الوطنية المناضلة، فكانت الصيحة المدوية في وجدان الأمة العربية وفي العالم الدولي، وهي التي أثبت فيها الشعب السوري حقه في الحرية والسيادة وانتهى منها إلى الجلاء..

إن تحية الزعيم أديب الشيشكلي إليكم، تحية ذلك الجيل المؤمن المناضل من مختلف طبقات هذه الأمة ممن رفعوا رايات الحرية والمجد وغالبوا الاستعمار، حتى اهتزت الأمة لرسالة الحرية والخلود..

هذه مقتطفات من كلمة وزير خارجية الشيشكلي عندما تكلم بوضوح وصراحة تامة كما تكلم بها سيده سابقاً.

وبعد تجاهل الشيشكلي لمصلحة الأمة، وفقدانه الصواب بعد مواقف رجالات البلاد ضد حكمه وعهده، خاصة بعد مؤتمر حمص العتيد، والميثاق الوطني، ومعارضة رجالات محافظة جبل العرب الذين بشروا بهبوب العاصفة لاقتلاع جذور عهده البائد ومهازله الكثيرة:

الأفعى الرمز

كان الشيشكلي يقول في مجالسه الخاصة وإلى المقربين منه إن أعدائي يشبهون الأفعى: رأسها جبل العرب، وبطنها حمص وذنبها حلب، فإذا سحقنا الرأس ماتت الأفعى.

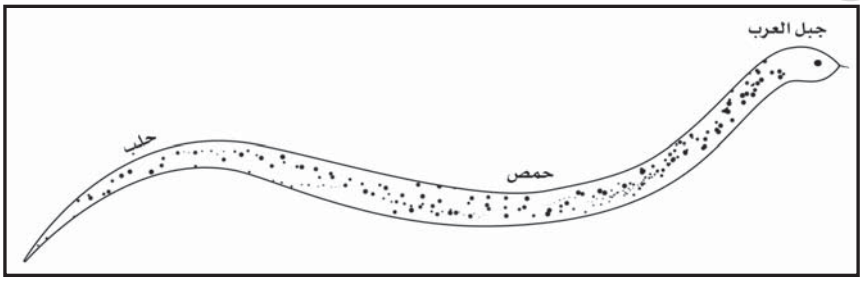

obeikandl.com

حل المجلس النيابي

أصدر رئيس الأركان أديب الشيشكلي في ١٩٥١/١٢/٢ البلاغ العسكري الثاني: إن عجز مجلس النواب القائم على مسؤولية الحكم، وحيث أن الأوضاع السياسية التي تواجهها البلاد، توجب الرجوع إلى الشعب، الذي هو صاحب السيادة في خياره لتحمل هذه المسؤوليات يرسم ما يلي:

أولاً: يحل مجلس النواب اعتباراً من اليوم الثاني من كانون الأول سنة ١٩٥١.

ثانياً: ينشر هذا المرسوم ويبلغ لمن يلزم. رئيس الأركان العامة، رئيس المجلس العسكري العقيد أديب الشيشكلي.

ثم أصدر رئيس الأركان مرسوماً آخر يكلف الزعيم فوزي سلو بمهام رئيس الدولة، ورئيس مجلس الوزراء، فأصدر هذا الأخير مرسوماً بتكليف الأمناء العامين للوزارة، لتسيير شؤون وزارتهم ريثما تتألف الوزارة الجديدة.

وهكذا راح رئيس الأركان يحكم البلاد فعلاً تحت غطاء رئيس وزراء لا يملك من السلطة شيئاً[1].

والأهم من ذلك أنه أصدر بعد ذلك مرسوماً بحل الأحزاب في البلد وتعطيلها وتعطيل صحفها، كما أصدر مرسوماً بصيغة قسم للمواطنين، تضمن الولاء والطاعة والعمل لتحقيق أهداف الجيش ورئيس الأركان ومطالبه.

حركة التحرير

بعد حل الأحزاب وتعطيلها، اعتقد الشيشكلي أن الجو قد راق له وأصبحت الجماهير في سورية طوع يديه وأفكاره لذلك ارتأى أن من الأفضل أن يشكل حركة سياسية تدعم حكمه الدكتاتوري، لذلك شكل حركة التحرير كحركة سياسية تدعم حكمه بعد أن منع نشاط جميع الأحزاب المعادية.

وقد جاء في المادة ٧ من دستور الحركة:

١- باترك سيل ص ١٩٢.

obeikandl.com

الشعب مصدر السلطات، نظام الحكم جمهوري يرمي إلى تأمين الإخاء بين المواطنين، وتوطيد العدل والمساواة بين الأفراد والجماعات. وتحرير الوطن من الجهل والفقر وتعزيز روح التضحية في سبيل المجموعة، وكامل قوى الأمة.

وقد ورد في المادة ٩ ما يلي[١]:

"الفرد هو الحجر الأساسي في الأمة، وعلى الدولة أن تقوم بكافة الوسائل لرفع مستواه المادي والمعنوي، وتحمي الدولة الأسرة، وتعتني بالطفولة فتبني لها دوراً للأمومة والحضانة، ودور الأحداث والمشافي لحمايتها من الأمراض والتشرد، وترعى الدولة الأيتام والعُجّزْ والشيخوخة." ويبدو من الإطلاع على هذه المواد أن دستور الحركة جاء مثالياً رفيع المستوى. لكن.. ماذا تحقق من هذا على أرض الواقع؟؟

اعتباراً من مطلع سنة ١٩٥٣ اشتد النضال من أكثر السياسيين في سورية وغالبية الأحزاب واحتدمت المقاومة في أكثر المحافظات وراح الكل يعمل لإسقاط الحكم الفردي للشيشكلي الذي حل جميع الأحزاب واستأثر بكافة السلطات وطرد من الوظيفة كل موظف لا ينتمي إلى حركة التحرير، وكان حزب البعث الذي اندمج مع الحزب الاشتراكي العربي لأكرم الحوراني وراح يحشد المظاهرات من الجامعة للمدارس والعمال والفلاحين للتصدّي للحكم الفردي وحركة التحرير التي تدعم هذا الحكم، ويطبع المناشير والبيانات السياسية ويوزعها في كافة المحافظات تشرح بصراحة وجرأة مساوئ العهد الدكتاتوري وتحض الشعب على مقاطعته ومقاومته.

وقد أوقف وسجن في دمشق من أعضاء الحزب السادة (نبيل شويري ـ نايف جربوع ـ وناصر الأطرش كما تم توقيف الكثيرين في المحافظات ممن قاموا بتوزيع المناشير التي تفضح عهد الشيشكلي.

وأذكر أنني أطلعت في حينها على برقية من سلطان الأطرش إلى رئيس الأركان أديب الشيشكلي هدده فيها وطلب الإفراج عن المعتقلين وقد جاء فيها: «أولادنا في السجون نحمّلكم مسؤولية توقيفهم»...

١- الحناوي ص ٨٥.

obeikandi.com

وكنت في ذلك الوقت طالباً في الصف العاشر، أنتمي لحزب البعث العربي الاشتراكي في السويداء، وكان لي شرف العمل السري لمقاومة الدكتاتورية، ليس بإلقاء القنابل ولكن بتوزيع المناشير، تصل حقيبة كبيرة فيها المناشير على سطح الباص من دمشق يرافقها بداخل الباص من دمشق شخص لا نعرفه، مكتوب عليها اسم شخص وهمي يصرخ معاون الباص حامل الحقيبة عن ظهر الباص بالاسم الوهمي المكتوب عليها والذي تبلغناه مسبقاً.

كنت بجانب الباص مع شخص آخر نستلم حقيبة المناشير هذه من المعاون على اعتبار أننا أصحاب هذه الحقيبة المقفلة، نأخذها إلى غرفتنا ونكسر القفل ونوزع المناشير في مغلفات صفراء ثم نتولى توزيعها في السويداء وصلخد وشهبا وكثير من القرى وفي الليلة القادمة وبمساعدة رفاقنا الحزبيين والشخص القادم مع الحقيبة من دمشق يعرف من استلمها في السويداء، لكن نحن لا نعرف من هو الشخص القادم مع الحقيبة حفاظاً على سرية العمل...

ولما زاد توزيع المناشير والمظاهرات المناوئة للدكتاتورية، أذاع المكتب الثاني العسكري نبأ اكتشاف مؤامرة لاغتيال الشيشكلي بينما كان بزيارة لمصر فعاد بسرعة إلى دمشق واعتقل وسرح الضباط المتهمين بالاشتراك في المؤامرة وعدداً كبيراً من المدنيين.

قد اتجه الظن إلى أن الذين دبروا حادثة الاغتيال هم الأساتذة:

(الحوراني ـ وعفلق ـ والبيطار) وقد غادروا إلى لبنان بعدما بدأت الاعتقالات في دمشق وما كادوا يصلون إلى بيروت، حتى ثارت ضجة قوية في صحف بيروت حول خنق الحريات في سوريا، وممارسة مختلف أنواع الاضطهاد النفسي على المواطنين[1].

كما أخذت الإذاعات العالمية والصحف تتحدث مطولاً عن مساوئ النظام الدكتاتوري واعتقال الأحرار وخروج قادة البعث إلى لبنان.

ثم أعقب ذلك في حزيران ١٩٥٣ بيان موجه إلى الشيشكلي، موقع من رؤساء سائر الأحزاب وكبار الشخصيات المستقلة ورد نصه كاملاً في كتاب الحناوي.

١- الحناوي ص ٨٢.

obeikandl.com

وقد جاء فيه:

إن العاملين العرب القوميين، موقعي هذا البيان الذين تنادوا للبحث فيما آلت إليه حال البلاد، وما يخشى أن تتعرض له في مستقبلها، يرون أن من واجبهم الوطني إعلامكم، والرأي العام حقائق الوضع الراهن في سوريا، بما ليس في المتوقع تجاهله أو إنكاره، وهم إذ يفعلون ذلك، يأملون أن يلقى بيانهم الأذن التي تسمع، والقلب الذي يعي، والفكر الذي يقدّر.

إن بلادنا اليوم تدار بحكم الفرد إدارة مطلقة. هذا الحكم يأتي بطبيعته للرقابة، ولا يدعو إلى الطمأنينة العامة، ولا يحقق بأي معنى من المعاني، الضمانات الأساسية للأفراد والجماعات، وأول مظهر من مظاهر فقدان الحريات العامة فقداناً تاماً، ولّد عند المواطنين نوعاً من الكبت، ونمّى الحقد والكراهية بين الحاكم والمحكوم، واستتبع ذلك شعور الناس بعدم سيادة القوانين، فلمسوا بشكل واقعي هذه الظاهرة في كثير من الحوادث العامة والفردية.

فبينما عمد الحكم القائم إلى حل الأحزاب السياسية، وصفى أموالها، وأغلق مكاتبها، على اختلاف نزعاتها ومذاهبها، نراه يرعى هو نفسه حركة جديدة، لم يشأ أن يسميها حزباً، مع أنها في حقيقتها وواقعها، الحزب السياسي الأوحد في البلاد، والذي يعيش على أشلاء الحريات العامة والفردية، وإذا بنا نرى الموظفين الذين حلفوا الإيمان، الذي يحظّر عليهم العمل بالسياسة يحملون للانتساب إليه زرافات ووحدانا، بينما عدد آخر من الموظفين يرزح في السجون دون أن تُعرف لهم تهمة، ولم يطبق عليهم القانون، ولم يحالوا إلى القضاء الذي فقد حصانته واستقلاله.

ووقفت الصحافة، كما وقفت الإذاعة، مقيدة القلم واللسان، لا تنشر ولا تكتب ولا تذيع إلا ما يحلو للفئة الحاكمة.. دون أن يسمح للمواطنين أن ينشروا أو يكتبوا، ما يعتقدون أنه الحق، وأنه في مصلحة الأمة وخيرها، فحُرم الشعب من آراء المفكرين من أبنائه، ونتج عن ذلك فراغ كبير في حياته السياسية والاجتماعية والسياسية.

ثم يشير البيان إلى الدستور الذي أصدره الشيشكلي من وضع دواوين الحكومة وبعض الموظفين، وبين كيف توضع الدساتير من قبل مجالس تأسيسية وكيف وضعت دساتير البلدان الراقية والمتقدمة.

وينتهي البيان بالفقرات التالية:

وبعد، إن حقائق التاريخ القريب، التي مرت بنا، تدعوكم إلى أن تعيدوا إلى الأمة حقها في الحرية والسيادة، فيتقرب الحاكم من المحكوم، وتكون الأمة كياناً متماسكاً، بجعل الشعب يشعر بوجوده وكرامته، فيسعى لاستكمال عدته في البقاء والكفاح، ويعمل آمناً مطمئناً في ظل الشورى والقانون.

ولا سبيل إلى ذلك، إلا بعودة الأوضاع الشرعية الصحيحة، لتكون الحريات مكفولة، والحقوق العامة والفردية مضمونة، فيستطيع الناس أن يعبروا عن آرائهم الحقيقية، دون رهبة أو خوف.

إن العاملين القوميّون العرب. الذين يتقدمون بهذا البيان، يفصحون عن لسان الأمة، ويعبرون عن شعورها، وهم إذ يأملون أن يلقى بيانهم هذا، الإذن التي تسمع، والقلب الذي يعي، والفكر الذي يقدر، يدعون الله سبحانه، أن يهيئ للأمة الخير وأسبابه، وأن يفتح بين يديها أبوابه، وان يجنبها الأعاصير والأخطار التي تحدق بها من كل جانب، والسلام.

الثامن من شوال ١٢٧٠ هـ الموافق في ٢٠ حزيران ١٩٥٣

سلطان الأطرش قائد الثورة السورية العام

obeikandl.com

رؤساء سابقون...

نص كتاب الرئيس الجليل هاشم الأتاسي

تأييداً لبيان رجال الأحزاب والسياسة (لما كانت الأوضاع القائمة في البلاد منذ تسعة عشر شهراً قد أشاعت القلق في النفوس، وكان إعلان المسؤولين فيها عن اعتراضهم وضع دستور جديد لها، قد زاد في القلق والاضطراب. ولما كان من حق كل إنسان ومواطن بل من واجبه أن يهتم بشأن البلاد، ويحسب حساباً للمصاب الذي يترتب على مثل هذا الأمر الخطير، فإن طائفة من رجال البلاد المعروفين بقديم بلائهم وسابق عملهم في حقل الوطنية والقومية العربية قد تنادوا إلى النظر فيما آلت إليه حال البلاد، وقلبوا أوجه النظر فيما يراد بها ثم أجمعت كلمتهم على بيان، جاء مردداً بصدق وأمانة لما يختلج في ضمائر الوطن في جميع أنحاء البلاد وذيلوه بتوقيعهم.

وإني، وقد كنت على اتصال بسعي هؤلاء العاملين المخلصين، واطلعت على البيان الذي أجمعت عليه كلمتهم، والذي ربطت صورة عنه بتصريحي هذا، لأعلن بصراحة أن موقّعي البيان إنما مارسوا حقاً طبيعياً ومقدساً لكل إنسان ومواطن، وقاموا بواجب تندبهم إليه الوطنية والحرص على تفادي الأخطار التي تتعرض لها البلاد.

وإن هذا الحق الذي مارسوه لا يمكن أن ينكر عليهم، أو يناقشوا فيه، وإن واضعي البيان كانوا فوق ذلك أوفياء أمناء صادقين مع الشعب بما يبين عنه من شعور وإحساس، وبما أشاروا إليه من المخاوف التي أصبحت تساور النفوس من جراء عزم المسؤولين عن إخراج دستور جديد للبلاد على الطريقة التي أعلنوها والتي يأتي على ذكرها البيان.

وتبعاً لما تقدم فإني أعلنت تأييدي للبيان تأييداً تاماً مطلقاً، بغير قيد ولا تحفظ. والله سبحانه ولي التوفيق.

openkanal.com

التواقيع

رؤساء سابقون

لطفي الحفار، رشدي الكيخيا، حسن الحكيم، حسني البرازي.

وزراء

عبد الرحمن الكيالي، نسيب البكري، صبري العسلي، زكي الخطيب، محمد العايش، فيضي الأتاسي، منير العجلاني، أحمد الشراباتي، ميخائيل لبان، عدنان الأتاسي، لطيف غيمة، سامي كبارة، ميشيل عفلق، أكرم الحوراني، هاني السباعي، شاكر العاص، فرحان الجندي، رشاد برمدا، علي بوظو، عبد الوهاب حومد، محمد الشواف، إحسان الشريف وعفيف الصلح.

نواب

سعيد حيدر، حسن فؤاد، إبراهيم باشا، سليمان المعصراني، عبد القادر حموي، عبد الله فركوح، علي هارون، جمال علي أديب رياض عبد الرزاق، محمد خير الحريري ديكران جراجيجان، نديم شومان، اسعد هارون رزق الله أنطاكي، مسلم الحداد، أحمد علي كامل، عثمان اسبر، بهجت نصور، علي الحياني، محمد الجيرودي، جلال السيد، رزق الله سالم، عبد اللطيف السباهي، صبحي العمري، عبد الحسيب رسلان، محمد المفلح، محمد يوسف أبو روية، عادل العجلاني.

من رجالات الأحزاب والمستقلين

صلاح الدين البيطار قاسم ياسين، جعفر الجزائري الحسني، منير السادات حميد إبراهيم باشا، غالب ميرزو، مدحت البيطار، فهمي المحايري، رباح قربة، إبراهيم مردم بك، عبد الغني القضماني، عبد الهادي المعصراني، قاسم الأتاسي، حسن مراد، مصطفى العطار، أحمد المحمود، عبد الرحمن المارديني، طاهر الكيلاني، نوري المهايني، زكي الركابي، عاطف سلطان، محمد السيد، يوسف خدام، بشير القضماني، عبد القادر القولي، الشريف زين العابدين، صلاح شيخ الأرض، وليد الرفاعي، محمود السبتي، نهاد الأميري، محي الدين رسلان. هاشم الأتاسي حمص ١٩٥٣/٦/٢

oberkandori.com

لم يلق هذا البيان اهتماماً أو اكتراثاً من الشيشكلي، بل ظل على غروره وعنجهيته مصمماً على متابعة خطته الهوجاء دون أي رادع. وأعلن للملأ عزمه على ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية والقيام باستفتاء شعبي ينفذ على أشلاء الحريات ومقدسات البلاد.

أما المسئولون من رجال الوطنية والإخلاص فقد عاهدوا الله والوطن على الثورة في وجه هذا الطاغية الذي تمادى في الغي والفساد وحب الذات، فتنادوا لعقد مؤتمر في مدينة حمص، يضم نخبة المخلصين من طبقات الشعب على اختلاف هيئاتهم ومللهم ونحلهم، لاتخاذ القرارات اللازمة، وتوجيه الشعب توجيهاً صحيحاً، ولتقريب أوجه النظر فيما تحمله الظروف الراهنة من مخاطر.

مؤتمر حمص ٤ تموز ١٩٥٣

انعقد المؤتمر في دار السيد عبد الله فركوح في حمص، وحضرته وفود من جميع المحافظات السورية.

افتتاح المؤتمر:

جمع المؤتمر بين من كانوا من وقت قريب ينتمون لأحزاب مختلفة وبين المستقلين، وكان الاجتماع ينم عن التكاتف والتعاون في سبيل نصرة وحرية البلاد، والتأكيد على ترسيخ سياسة ديمقراطية تتيح للشعب كله ممارسة كافة أشكال الحرية. وقد فاق عدد الحاضرين على ثلاث مائة شخص ـ وقد أقضَّ هذا المؤتمر مضاجع السلطة التي راحت تعمل جاهدة على العرقلة والتأخير دون جدوى.

وصل الرئيس الأتاسي في الساعة السادسة وبوشر بافتتاح المؤتمر بهذه الكلمة للرئيس الأتاسي:

obeikandl.com

- أيها السادة: تنادت هممكم ومروءتكم، واختارت هذه المدينة مكاناً للقاء، فأهلاً، بكم ومرحباً وبوركت هممكم ومروءتكم.

بعد عناء طويل وتضحيات جسام ظفرت البلاد بنعمة الاستقلال، لكن النعمة التي جاءت بحمد الله تامة كاملة بالنسبة للملأ الخارجي، ما لبثت أن اعتراها في الداخل ما أفسد على المواطنين هناءتهم وسعادتهم بها، فلقد آلت الأمور إلى طراز غريب من الحكم الكيفي، لا يشفع له ولا يؤيده سوى ما يستند إليه من إرهاب. فالطغيان الذي ابتلينا بشروره من الأجنبي زمناً طويلاً أخذ يوقعه فينا رجل بعينه من أبناء هذا الوطن، وهكذا تعطلت نعمة الاستقلال التي هي أول النعم وأكبرها، تلك النعمة التي لا يكون تمامها إلا بالحياة الدستورية الصحيحة التي تكسب مشروعيتها من رضا المواطنين واختيارهم بالطرق الديمقراطية المألوفة، ليشعر كل مواطن بأنه حر وسيد في حمى القانون.

وهذه الأوضاع التي أذهلت الشعب لأول وهلة، والتي ما لبثت أن أسلمته إلى الهواجس والمخاوف، أراد المسؤول عنها أن يكسبها ثوب الشرعية، وأن على البلاد أن تبرئ ذمته من جميع أعماله وتصرفاته، وتقرر له دستوراً يجمع بين يديه من السلطات ما لم يشهد العالم المتمدن أن اجتمع مثلها لحاكم.

حيال هذا الواقع الذي دوهمت به البلاد على حين غرة، كان طبيعياً أن تتنادوا إلى الاجتماع للنظر فيما يراد بها.

أيها السادة: لا بأس بصروف الدهر إذا كانت تلقي الدروس والعبر، وتكتب التجارب، وتؤلف بين الجهود في سبيل إسعاد الوطن وإذا كان اجتماعكم اليوم قد تم تحت شعار الألم، فإنني أسأل الله القدير أن ينقِذ البلاد من عثرتها، وأساله أن يظل اتحادكم ثابتاً على الأيام، حتى تنعم البلاد بظلال وارف من الحياة السياسية المشروعة التي تعصم من الطغيان، والتي بدونها لا أمن ولا سعادة ولا رفاه، وأرى الآن أن يعطى حق الكلام للإخوان الذين سجلوا أسماءهم بطلبه والسلام...

كلمة قائد الثورة السورية العام سلطان الأطرش في المؤتمر:

تلا الأستاذ فيضي الأتاسي كتاب عطوفة قائد الثورة سلطان الأطرش في المؤتمر والذي حمله وفد يمثل جبل العرب. وقد قوبل بالتصفيق الحاد :

إخواننا الكرام... تحية عربية...

لقد جاءت المذكرة الصادرة في ١٩٥٣/٦/٢٠ والتي نسميها بحق مذكرة البلاد، معبرة عما تكنه طوايا كل فرد من أفراد الشعب.

وكنا نود أن تجد هذه المذكرة نتيجة مباشرة سريعة عند متولي السلطة الحالية، فيراعوا الحالة المؤسفة التي آلت إليها البلاد وليقفوا عند هذا الحد من الأعمال غير الدستورية والتصرفات غير المشروعة التي بدؤوها منذ زمن غير قريب، مغفلين إرادة الشعب الحقيقية، فيعيدوا إليه حقه بالسلطة وتقرير نوع الحكم الذي يساس بموجبه، في جو من الحرية التامة والإرادة الفعلية، ولكن وبما أنه لم يحدث شيء من ذلك ارتأى العاملون من أبناء هذا الشعب، حرصاً على مصلحة هذا الوطن، أن يتابعوا السير في سبيل تحقيق آماله. فيقرروا عقد هذا المؤتمر.. يتداولون فيه الآراء لإخراج البلاد من الأوضاع غير الطبيعية التي أحاطت بها. ولقد رأينا من واجبنا القول أنا نشارككم هذا العمل كما سبق وشاركناكم في آرائكم وأعمالكم الوطنية.

إننا ننتدب أخانا فضل الله جربوع وأبا حمد يوسف العيسمي وأبا يوسف حسين مرشد لينوبوا عنا بإبداء وجهة نظرنا وبيان رغباتنا.

وبانتظار نتائج جهودكم نبارك هذا المؤتمر راجين أن يوفق الأخوان في تحقيق آمال البلاد وإعادة الحريات والحياة الدستورية الصحيحة وإننا نبتهل إلى الله أن يسدد خطانا بالسير في نهضة البلاد وتقدمها ونمو أهدافها القومية والله من وراء القصد.

القريا - جبل الدروز - ١٩٥٣/٦/٣٠

أخوكم سلطان الأطرش

وفد الجبل المكلفون من سلطان الأطرش:

(فضل الله جربوع ـ يوسف العيسمي ـ حسين مرشد) من أعضاء الوفد (حسين عبد الدين ذوقان قرقوط ـ سليمان حمزة ـ صياح أبو عسلي).

بيان مؤتمر حمص

بيان المؤتمر الوطني الموجه إلى الشعب السوري: أيها الشعب الكريم:

«إنك تعلم أن أمر الأوضاع الشاذة التي تسود البلاد مثلما نعلم وتعلم أيضاً أن تلك الأوضاع لم تستند إلا إلى الإرهاب الذي صاحبها ولازمها منذ أن ولدت فلولا ذلك الإرهاب الذي ما عرفت له البلاد مثيلاً ما كانت الأوضاع الغريبة لتستمر وتطول بها الأيام، لأنها لا تقوى على مواجهة الحريات ولا تستطيع الصمود أمام إرادة الشعب.

في ظل هذه الأوضاع التي اتخذت من سجن المزة ومن ضروب الاضطهاد وفرض الجور والاعتساف آلة ووسيلة لاستمرار بقائها. وفي ظل هذا الجو الكيفي والإرهاب أعلن المسؤول عن تلك الأوضاع عن وضع دستور جديد للبلاد، يمنح لفرد واحد من السلطات، ما لم يتوفر مثله لملك من ملوك الحكم المطلق في القرون الوسطى وإزاء الشبهات والظنون التي تكتنف عزيمته هذه من جانب المخاوف التي تعاورت نفوس المواطنين من سوق البلاد إلى ما لا تحب أو ترضى.

وقد وضعت طائفة من زعماء البلاد يمثلون وجهها الحقيقي أصدق تمثيل بياناً ضمنوه شجب هذا العمل وتحذير المسؤول من نتائجه وأعلنوا فيه أن البلاد لا يمكن أن تتقيد بما ينوي ذلك المسؤول استفتاءها بأنه في الظاهر، وفرضه عليها في الحقيقة والواقع، لأن هذا الذي ينويه لم يكن وليد حاجة الشعب وشعوره، وإنما هو وليد حاجته الشخصية ونزوعه في توطيد دعائم حكمه، بإضفاء ثوب الشرعية غير الصادقة ولا الصحيحة عليه.

ومنذ قدم بيان رجالات الوطن إلى ذلك المسؤول بات الأمل مفقوداً أن يلقى لديه اهتماماً، وسرعان ما خاب الأمل برجوعه إلى جادة الصواب، وبقي سادراً في غيه، ماضياً في سعيه إلى تحقيق ما أسماه دستوراً واستفتاءً حراً، وإننا حيال إصراره وإمعانه

لا نرى بداً من أن نتقدم للشعب الكريم بهذا البيان لنعلن بصراحة ووضوح أن هذا العمل الذي يراد به سوق البلاد إليه، إنما يدفع بها إلى حد ما يعلم أحد أين غايته ومنتهاه.

أيها الشعب الكريم، إن المسؤول عن هذه الأمور، لم يقدم عليها إلا بعد أن مهد لها بتدويخ البلاد وإرهاقها وطمس معالم الحرية والكرامة فيها، فأعمل الضرب والسجن والتعذيب والإهانة بكرام المواطنين وبموظفي الدولة، بعد أن ساومهم جميعاً على وظائفهم، ورفع عنهم الحصانات محاولاً قتل شعور الكرامة فيهم، واعتمد على تسخير وسائل الحكم على اختلافها في تهديد الناس في أمورهم ومصالحهم، حتى لم يبق فيهم من هو آمن على حياته أو ماله أو كرامته، وأرهقهم بالضرائب والتكاليف بقانون وبغير قانون وراح يبدد الأموال في التظاهرات والمهرجانات المعهودة وفي بث العيون والأرصاد على الشعب، وهكذا إذ توهم ذلك المسؤول أنه لم يبق في البلاد من يرتفع له صوت، أعلن ما أعلنه من عزمه على إخراج ما أسماه دستوراً، وطرحه على ما سماه استفتاءً!!

أيها الشعب الأبي: إن هذه الأوضاع التي عاينتها وخبرتها، يريد صاحبها أن يجعلها مشروعة بما يعرض عليك من دستور واستفتاء فهل ترضى بذلك؟؟

إن المستقبل الذي سوف تسفر عنه عملية الاستفتاء قد دلت عليه المقدمات التي شاهدتها وخبرتها منذ ابتليت بهذا النوع من الحكم، وأما تلويح المسؤول عنه بالحريات، وبأنها مباحة في مناسبة إعلان دستوره فكلام مجرد، لا يركن إليه، ما دامت جميع السلطات على الإطلاق من استثنائية، وغير استثنائية مجتمعة في قبضته يتصرف بها كيفما شاء.

إنه لا سبيل إلى اطمئنان المواطنين إلى حرياتهم إلا بأن يتخلى ذلك المسؤول عما بيديه من ترشيح نفسه الذي يشكل إخلالاً كلياً بسلامة التصويت التي تحتاط لها جميع الدساتير وقوانين الانتخاب. وليس أدل عليها من سابقة الجنرال أيزنهاور واستقالته من منصبه العسكري قبل الانتخاب بستة أشهر. وإنه لا سبيل لاطمئنان المواطنين إلى الحريات إلا بأن تتاح في جميع صورها وأشكالها المعروفة في البلاد الديمقراطية، وخاصة حرية الرأي التي تتضمن في حد ذاتها حرية اجتماع المواطنين إلى بعضهم للتشاور في أمرهم العام وشأنهم المشترك.

obeikandi.com

تلك الحريات الديمقراطية الملازمة لكرامة الإنسان والمواطن والتي تعهدت سورية دولياً باحترامها ورعايتها يجب أن يفسح لها وقت كاف، ولا يغني عن الحريات الصحيحة شيء كإعطاء صور خادعة وكاذبة في الأيام القلائل التي تقدمت مشروع الاستفتاء، والناس لم يفيقوا بعد من كابوس الإرهاب، وهم يدعون اليوم للاستفتاء فإن حرياتهم ما تزال مغلولة وأحزابهم منحلة وصحفهم بين معطلة أو رسيفة بالقيود.

أيها الشعب: غداً يراد لك أن تتعرض لامتحان لم تطلبه ولا حاجة لك فيه، فضلاً عن أنه ليس لك فيه شيء من الضمانات التي تأمن معها على مشيئتك بأن لا يعبث بها، وعلى إرادتك بأن لا تشوه ولا تزور.

أيها الشعب: ليس هذا النداء نداء رجل بعينه أو جماعة، ولا حزبية اليوم أمام البلاء العام والخطب الشامل، وإنما هو نداء أمة صهرها تاريخ الألم، وألف بين أبنائها خوف المصير، وإنه اتحاد مقدس وطيد الأركان، ثابت على الأيام إن شاء الله.

أيها الشعب: إن دساتير الأمم هي ثمرة جهادها ونضالها وتسجيل حريتها وكرامتها وعنوان ذخائرها ومفاخرها، وهي سياجها وملاذها فيما تحرص عليه من أسباب العز والسؤدد والدساتير الحرة يكون ميلادها في جو حر طليق من الحريات وأما ذلك أو تلك الذي يدبر في ظلام الدواوين، وفي جو خانق من الحكم البوليسي والإرهاب، والذي يفاجأ به الشعب ويستدرج إليه في أيام معدودات فلن يكون إلا سجل الرق وسفر العبودية لأمه كريمة عرفت قيمة الحرية وعرفت الدنيا عنها تمسكها بها.

أيها السوريون: إن العمل الذي دوهمت به البلاد من دستور واستفتاء والذي إذا تم سوف يطوح بالنظام الجمهوري الذي يكفل سيادة الشعب وكرامته. إن هذا الذي قيل باطلاً إنه على غرار الحكم الرئاسي في أمريكا لا تعترف به البلاد ولا يمكن أن يغلها أو يقيدها في كثير أو قليل.

أيها السوريون: إننا نشهد الله والعالم والتاريخ على ما تريده مشيئة ذلك الفرد بالبلاد السورية وأملها. وإنكم أقوياء بحقكم، فلا تهنوا ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون والله معكم.

أسماء موقعي البيان بحسب الأحرف الهجائية:

إحسان الجابري، أحمد فؤاد القضماني، الشريف زين العابدين، أسعد هارون، أبو الهدى الحسيني، الأستاذ الشيخ أنيس الملوحي، أحمد المحمود، أبو الهدى اليافي، أحمد حيدر، إيليا فراس سمعان، بدوي الجبل، بهجت نصور، بشير القضماني، بدر الدين السباعي، بشار موصلي، توفيق حبرلي، توفيق الجندي، توفيق عجم أوغلي، جبرائيل غوال، جلال السيد، الأمير جعفور الجزائري، حسني البرازي، حسن الحكيم، حامد ناجي، حميد إبراهيم باشا، حبيب كحالة، حيدر القضماني، حسين مرشد رضوان، حسين عبد الدين، حسن مراد، حسين الجندي، حسين الموصلي، خالد القوتلي، خليل كلاس، خليل بشورة، خالد كالوا، خالد محسن السباعي، ديكران جارجيان، دباح الدندشي، ذوقان قرقوط، زكي الخطيب، زكي الركابي، ذهني الحسيني، ذهني رسلان، رشدي الكيخيا، رزق الله إنطاكي، رزق الله سالم، رشاد جبري، رياض عبد الرزاق، ريمون عزار، رياض بالي، راتب الأتاسي، رفعت السباعي، ريكاردو نوريه، زهير دندشي، سعيد حيدر، سلمان المعصراني، سلمان حمزة، الأستاذ الشيخ سعيد الجابري، سالم الأتاسي، سميح جمالة، شاكر العاص، شكري الجندي، شمس الدين الحسيني، صياح أبو عسلي، صلاح شيخ الأرض، صبحي العمري، صالح رمضان، طريف كيالي، عبد الوهاب حومد، عبد اللطيف السباعي، علي بوظو، عبد الغني القضماني، عبد القادر شريتح، عفيف الصلح، عرفان جلاد، عبد الحسيب رسلان، عادل العجلاني، عدنان الأتاسي، عبد الله فركوح، عبد الحميد الحراكي، عبد الحكيم دويدلي، عادل قزيها، عثمان حسن، عبد القادر الغفولي، عزت أحمدوك، عبد الحميد الجاسم الدندشي، عبد الحميد المجد، عصام الأخرس، عبد الحكيم عبد الصمد، عبد الكريم الرئيس، عبد الباقي الجمالة، عبد الدائم الأتاسي، عبد الغني الرئيس، عبد الرحيم الأتاسي، فيضي الأتاسي، فيصل العظمة، فهمي المحايري، فرحان الجندلي، فضل الله جربوع، فاروق السياف، فوزي سفرطل، قدري الحكيم، قاسم الأتاسي، لطيف غنيمة، ليون زمريا، معروف الدواليبي، ميخائيل ليان، منير العجلاني، محمد الشواف، محمد السيد، ماجد صفيا، منيب ذياب، مظهر شربجي، موفق مهايني، محمد الجيرودي، مدحت البيطار، محي الدين مرهج، محمد خير الحريري، محمد أبو رومية، مصطفى مجاهد الجندي، محي الدين رسلان، ماهر الجندي، مروان موصلي، ميشيل مزه، موفق الأتاسي، محمد الأزهري، ناظم القدسي، نسيب البكري، نهاد الأميري، نوري المهايني، نديم موصلي، نوري الجندلي، نزار الحسيني، هاني السباعي، هشام كحالة، يوسف العيسمي.

هؤلاء هم أبطال المعارضة ودعامة سوريا ومناضلوها الأحرار الذين وقفوا في وجه الطاغية والطغيان، وكشفوا للملأ ما يضمره من العسف والجور وما يسعى إليه من أجل توطيد دعائمه وتحقيق مطامعه مهما كلف الثمن.

كان وقع هذا البيان في نفس الشيشكلي وأنصاره كوقع المذكرة السابقة، فلم يأبه له ولم يعن به ولم يكترث لرأي زعماء البلاد، كما أنه لم يرض بتشكيل لجنة لمناقشة الدستور وتأجيل موعد انتخاب رئيس الجمهورية، بل أصر على موقفه من التصويت على الدستور الذي سنه مناصروه وعلى ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية. كان لي شرف توزيع بيان مؤتمر حمص بعد أن أيقظني الرفيقان حمد جنود والمرحوم سلمان أسعد حاتم، منتصف الليل وأنا نائم بالصحرة الصيفية (كرم الجب) غرب نجران، وهما يركبان على بغل أسود ـ وأسرعنا الثلاثة نوزع البيان على مضافات نجران وعريقة وداما، قبل بزوغ الفجر.

بيان حزب البعث

ونشر حزب البعث بياناً على الملأ يتناول فيه بجرأة سلبيات الحكم، واعتبر هذا البيان وثيقة هامة بتاريخ نضال الحزب المشرف. **جاء فيه:**

(عبثاً حاول الحكم العسكري أن يصمد، إذ لا مكان على أرضنا العربية لحكم أجنبي استبدادي طائش. إن الشباب الحر الذي آذيتموه، والفلاحين الذين اضطهدتموهم، والعمال وصغار التجار وكل من يحب وطنه يصرخ بكم أن تذهبوا.

لقد أطاح هذا الشعب بمغتصبين كثيرين، وفيه من هم على استعداد أن يموتوا من أجل الحرية.. في الوقت الذي أصبح فيه المواطنون جميعاً مقتنعين، بعد التجربة الأليمة للانقلابات، بضرورة وضع حد نهائي لتدخلكم كعسكريين في شؤون البلاد السياسية، وفي الوقت الذي ضج فيه الشعب بكامله من الحكم العسكري، وشاعت النقمة عليه في كل الأوساط، وامتلأت السجون والمنافي بأحرار البلاد ومفكريها. حتى أصبح واضحاً فشل التجربة العسكرية وخطرها طلعتم على البلاد لا بمحاولة استدراك ما بدأتم فيه، وتجنيب الوطن بقية الأضرار والآثام التي بشر بها هذا الحكم، شأن من لم يمت فيه بعد

obeikandl.com

كل شعور قومي شعبي. بل بمحاولة ضمان استمرار هذا النوع من الحكم بإعطائه صيغة من المشروعية الشكلية التي تأملون من ورائها أن يستطيع تثبيت أقدامه وأن يعيش. فلقد رسمتم لجنة من الموظفين الذين لا لون لهم، والأمناء لكل عهد، لوضع ما أسميتموه دستوراً يبيح لكم أن تحكموا البلاد حكماً عسكرياً فردياً، زاعمين بأنكم ستستشيرون الشعب، وتعنون بذلك الاستفتاء الإرغامي الكاذب الذي لا قيمة له.

إن أمر إبداعكم هذا الدستور بمثل هذا الاستهتار سابقة لم يجرؤ على مثلها حتى المفوض الفرنسي في أقسى أيام الانتداب وأكثرها تعسفاً، ولقد نبهت هذه السابقة أنظار الشعب العربي في جميع أقطاره، وبصورة خاصة في سوريا، إلى عمق الجناية التي توشك أن تنزل بالوطن. وبات من واجب كل عربي شريف أن يعمل ويبدي رأيه واضحاً وحاسماً لتكون المسؤولية التاريخية واضحة وحاسمة أيضاً.

أنتم تعرفون، ولا شك ما هي الخطورة الكائنة في حكم البلاد من قبل السلطة العسكرية فهو يعني استلاب السلطة من الشعب الذي هو دعامة كل حكم في كل عصر.

ووضع هذه السلطة في يد فئة يدعم آراءها قوة السلاح، وفي ذلك إفساد خطير للحياة العامة، وقضاء على أساس تكوينها الذي هو الشعب، وقتل لإمكانية التطور والنمو فيها. إذ لا يلبث الشعب أن يفقد مشاركته الحقيقية المنتجة في شؤون البلاد، نتيجة عدم شعور بالحرية والمسؤولية والثقة تصبح رابطته بالحاكمين رابطة الخوف وحده، وفي ذلك القضاء على كل مناعة خلقية، وإمكانية قومية تجددية في النهاية.

هذا إلى جانب إفساد الحياة العسكرية نفسها لإخراج الجيش عن مهمته التي هي الدفاع عن حدود الوطن، والتي لم يعرف العالم حتى الآن أن له مهمة غيرها، ففي السياسة وما يتبع ذلك من اتجاهات ومطامع تفكيك لوحدة الجيش وإلهاء عن تنمية الروح العسكرية فيه، وقتل لروح الطاعة فيه والانضباط بإضافة صفة النفوذ السياسي إلى رتب العسكريين، وما حل بجيشنا السوري في هذا العدد القليل من السنين، من تفسخ وضعضعة وفقدان لخيرة ضباطه والأخصائيين فيه من تسرب روح اليأس والنقمة إليه من جهة وروح الترف والرخاوة والتآمر عليه من جهة ثانية لأوضح دليل على ذلك.

لأن كانت هناك أخطاء معينة قد ارتكبت من قبل المسؤولين في العهود الدستورية السابقة فادت إلى وقوع البلاد بمحاذير التدخل العسكري فيما لا ريب فيه أن المواطنين الغيورين مدنيين، وعسكريين، كانوا يأملون أن ينتهي هذا التدخل العسكري سريعاً، وأن يقتصر دوره طالما أنه وقع على تمكين الشعب من الحرية لا سلبه إياها.

ولأن كان النظام البرلماني الذي يعني أن الكلمة للجماهير التي تشكل قاعدة الوطن تعترضه في بلادنا الحديثة التكوين السياسي عقبات لا تجعل منه تمثيلاً صحيحاً للشعب.

وليس معنى ذلك أن نقضي على هذا النظام التمثيلي بل أن نجعل منه تمثيلاً حقيقياً، يحطم القيود الإقطاعية التي تغل الجماهير في أكثرية البلاد وتحطم العشائرية التي تجعل النفوذ للعائلات الكبيرة ولروح التعصب، فما من شك في أن تقدم بلادنا العربية رهن لتحرير الشعب الذي يحوي وحده وجدانية البعث والحياة الجديدة وإطلاق سائر قواه، ليتدرب وينشئ نفسه بنفسه ويحقق أهدافه التي يشعر بها جيداً، بل ويعيها أكثر من كل مدع.

ولقد اضطررتم أنتم إلى الاعتراف بذلك إثر انقلابكم الأخير فملأتموه بتصريحات واضحة تؤكد حرصكم على دستور البلاد ورغبتكم الأكيدة في عدم التجاوز على الحياة الدستورية واعدين بأن تعود الكلمة في زمن قصير إلى الشعب.

إلا أن المواطنين لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم فجأة فريسة حكم فردي ديكتاتوري، فلم تمض ثلاثة أشهر على انقلابكم ووعدكم حتى تعطلت الحياة الدستورية تعطيلاً تاماً فحلت الأحزاب كلها. وألغيت الصحف الحرة، وحرمت السياسة على المواطنين، ثم توالت جميع ولاة الديكتاتورية بسرعة مأثورة، واستقبلت السجون قوافل الشباب المناضل الحر وطغت موجة من الاعتقالات الكيفية البعيدة عن أي عرف أو قانون، وانتشر الترويج الذي لم يعرفه المواطنون من فرق القتال الفرنسية، فاعتدي على حرمات البيوت وروِّعت النساء والأطفال وأصبحت سجون المزة التي كان الفرنسيون يستخدمونها لإماتة رجال الثورة السورية تشهد كل ليلة من حوادث التعذيب والقتل ما لم تعرفه عصور الهمجية الأولى.

وكان الغليان الشعبي بالغاً أوجه، فعملتم على إيقافه وتقييده وثبتم دعائم الطبقات

المستغلة فاضطهدتم الفلاحين، واعدتم سيطرة الإقطاعية، دون أن تفكروا حتى بتنظيم علاقاتها بهم تنظيماً يدرأ عنهم الاستغلال غير الإنساني، وحللتم نقابات العمال، ومنعتم عليهم المطالبة بحقوقهم والعمل لها، وسلطتم على البلاد الشركات الكبرى، فكان منها الوزراء الذين يتلاعبون باقتصادياتهم كما يشاؤون، وحلت الضائقة بصغار التجار وبكل أبناء الشعب، وانتشرت البطالة والغلاء بشكل لم تعرفه البلاد من قبل، أضف إلى ذلك الضرائب المتلاحقة وابتزاز أموال الناس بطرق تعسفية شتى ليذهب معظمها على الحفلات وجمع الأنصار ورشوة بعض الضباط، ولينفق أكثرها على جهاز التجسس الذي أصبح الجهاز الكامل الوحيد في الدولة، فامتلأت المدن بشرطة التحري، وزاد المكتب الثاني في الجيش أفواجاً لم توجه إلى اكتشاف أخبار العدو كما هو المفروض، بل إلى التجسس على الشعب وحده وبأموال الشعب.

كانت الجماهير في شبه ثورة ضد الاستعمار، فمصر تقارع القنال، والبلاد العربية تتحفز كلها لوثبة أرعبت المستعمرين، فعملتم على كبح جماح الشعب، ومنعتم عنه كل تأييد لمصر وتونس وسعيتم إلى عزل سوريا عن النضال الشعبي العربي...

ولم تلبث سوريا أن أصبحت بلد الهدوء الوطني وأصبح حكامها يقبلون بمشاريع الاستعمار من توطين اللاجئين الذي يعتبر الخطوة الأولى لعقد صلح مع إسرائيل وبحث مؤتمرات التحالف مع الغرب التي ليست إلا تمكيناً للاحتلال الأجنبي، وأصبحتم مثار الإعجاب في الصحف الأجنبية والمثال الكامل الحي في رأيهم لما يحتاج إليه هذا الشرق العربي المتطرف..

لقد كان انقلابكم بداية تحول في الوضع السياسي العربي، فلم يلبث أن أعقبه الانقلاب على العناصر المناضلة في مصر، فاختفت الحركة الشعبية في بدايتها ومهد الجو للحكم العسكري وشبه العسكري في البلاد كلها، وعاد الاستعمار يسيطر على الشعب بأسلحته وعملائه وزبانيته والحق أن انقلابكم الأخير انقلاب أجنبي احتضنته أمريكا حامية الصهيونية، ورحبت به كل الدول الاستعمارية الأخرى.

نحن نعلم وأنتم تعلمون والشعب بكامله يعرف اليوم من تمثلون، لقد تتابعت محاولات السياسيين الأحرار منذ البدء لإعلان هذه الحقائق، فما كان جوابها إلا

obeikandi.com

الاستمرار بالكبت والإيغال في السياسة المقاتلة للشعب، بل لقد تبلورت كل تلك المفاسد والأخطار بخلق حركة جديدة سميت (حركة التحرير) ضمت، كما هو المنتظر، المرتزقة والانتهازيين من كل نوع، وأرغم الموظفون الذين طلب إليهم أن يقسموا يميناً على عدم القيام بأي عمل سياسي على الانتساب إليها وأصبحت تتطور شيئاً فشيئاً لتصبح ملاجئ للإقطاعيين والفاشلين والطامحين إلى النيابات والمراكز النافعة في البلاد.

وها أنتم اليوم، وبعد عام ونصف من الفشل، تصرون على رعاية تلك المفاسد من جديد فتبتدعون دستوراً، وتكرهون الشعب على التصويت له، مطبقين بذلك تطبيقاً حرفياً محاولة الزعيم حسني الزعيم المضحكة البالية، ويأتي عملكم هذا فذاً يفوق كل ما ارتكبتموه لأنه لا يتعلق بأشياء طارئة وأضرار محددة، بل يطعن صميم الحياة الدستورية، والديمقراطية، ويحاول أن يوجد للبلاد شريعة جديدة هي شريعة الاغتصاب والحكم الإرهابي الأجنبي الفردي.

لقد اقتبستم من أمريكا وبصورة مشوهة النظام الرئاسي وهو في بلادنا يشكو استئثار الحكام وأنانيتهم والتي هي بحاجة إلى زحزحة مستمرة لسيطرة الطبقة المتنفذة وذلك لا يعني إلا ديكتاتورية مقنعة، ليست إلا واسطة تساعد على عدم نفوذ تلك الطبقة التي ما زالت متحكمة بالشعب والدستور.

والأسلوب الذي تتبعونه في خلق هذا الدستور يخالف أبسط القواعد الدستورية المعروفة، فهو من صنع فرد أوجده لنفسه فحسب، ومضى به في جو خال من الرأي الحر والهيئات الشعبية الصادقة التي تمثل الوطن.

فالحريات التي تتحدثون عنها للصحفيين الأجانب لا وجود لها بل لقد بلغ من شدة حرصكم عليها أن لم يعد مكان في الوطن العربي إلا وامتلأ بالأحرار العرب السوريين، وإن الشعب ليتحداكم أن تطلقوا الحريات يوماً ليقول رأيه بهدوء في دستوركم الجديد، وأما الاستفتاء الذي تزعمون فليس من يجهل أنه استفتاء شعب سلبت حرياته واغتصبت سلطاته ومهد لانتزاع موافقته الشكلية بعام ونصف من الإرهاب والتنكيل وإشاعة جو الإفساد والخوف هذا فضلاً عن أن عملكم باطل من أساسه لأنكم مغتصبون للحكم لم يندبكم الشعب ولم تمثلوه في يوم من الأيام.

إن هذا الاستفتاء لا يمكن أن يعطي مشروعية ولا شبه مشروعية لأي حكم يصدر عنه، وإن النتائج التي تترتب عليه ستكون عواقبها وخيمة، وهو لا يؤدي إلى الانفصال النهائي بين الشعب والحاكمين الذين سينظر إليهم دائماً على أنهم مغتصبون، كما سيؤدي إلى إضعاف موقف البلاد تجاه العالم الخارجي والدول الاستعمارية، فلا هيبة ولا كلمة لحكم مغتصب مفضوح ومنفصل عن الشعب وغير مشروع في أعين الجماهير.

إن شعار الوطن في هذه المرحلة من تاريخ الوطن مستمد من الأهداف التالية:

أولاً: مقاطعة الحكم والنضال المستمر ضده وضد كل المحاولات الرجعية والاستعمارية التي يحاول فرضها على البلاد.

ثانياً: إبعادكم عن الحكم، وإقصاء الجيش كلياً ونهائياً عن السياسة وإعادة الحياة الدستورية الصحيحة إلى البلاد.

ثالثاً: اعتبار كل ما تقومون به لاغياً سيمحوه الشعب.

إن العمر القصير الأسود الذي عاشته الديكتاتورية في سورية كشف لكل فرد من أفراد أبناء الشعب أخطارها وجعله يدرك بوعي وعمق أن الديمقراطية هي السبيل الوحيد لبلوغ الأهداف وتحقيق التقدم، ولذلك فإنه يتطلع اليوم، أكثر من أي عهد مضى، إلى إقامة حكم نيابي شعبي سليم خال من السيطرة الاستعمارية أياً كان لونها.

إن تاريخ شعبنا حافل بالصعاب لكنه حافل بالانتصارات أيضاً، وإننا مؤمنون، كما قلتم في بيانكم الأخير، بأن الديكتاتورية تحمل عوامل انهيارها بنفسها، وإنكم تحاولون أن تفرضوا على الشعب الذي علمه أجداده (أن الناس قد ولدوا أحراراً) ديكتاتورية رجعية أجنبية لا بد أن يحطمها، عاجلاً أو آجلاً.

إن كفاح الأحرار سيظل مستمراً، وإننا مع كل من يشعر بالكرامة والعزة مستعدون لبذل دمائنا من أجل الحرية الغالية المقدسة ومن أجل أن يبلغ الوطن المعذب المناضل أمانيه بالحرية والوحدة العربية والاشتراكية.

نقول باسم الشعب ((لا يمكن لحكم الخونة الجبناء أن يدوم))

حزب البعث العربي الاشتراكي

obeikandl.com

وبالرغم من بذل الجهود المخلصة لأبناء الشعب السوري وتقديم الوسائط والمقترحات للحيلولة دون مطامع الفئة الحاكمة والديكتاتورية المتبجحة، وبالرغم من احتجاجات العمال والكادحين وجميع فئات الشعب، المرة تلو المرة، فإن الشيشكلي لم يكترث، أو يعدل من موقفه بشيء البتة، بل صمم على متابعة جهوده لإنجاح دستوره الجديد بتصويت الشعب عليه، دون الالتفات إلى ما يجره ذلك من ويلات.

وراعـــي الـــشاة يحمـــي الـــذئب عنهـــا

فكيـــــف إذا الرعـــــاة لهـــــا ذئـــــاب

الشيشكلي رئيساً للجمهورية والنظام الجمهوري الديمقراطي

في العاشر من تموز سنة ١٩٥٣ فاز الشيشكلي بالاستفتاء المفروض على المواطن فرضاً وأقيمت الاحتفالات الرسمية في طول البلاد وعرضها.

ويقول العقيد أمين أبو عساف في مذكراته: عندما توجه إلى مقر الرئيس للتهنئة في ١٥ تموز مبكراً في الصباح استمهله المقدم محمود شوكت رئيس مكتب أديب الشيشكلي، متذرعاً بوجود وزير أمريكا المفوض عنده[1] لذلك استنتج أنه لا يمكن أن تكون هذه الزيارة عفوية بل هذا ما يدل على النفوذ والتوجيه الأمريكي في سياسة عهد الشيشكلي.

وقد تشكلت حكومة جديدة بعد فوز الرئيس واستقال الزعيم فوزي سلو وذهب إلى السعودية، وأقام الشيشكلي وأعوانه في البلاد نظاماً أطلقوا عليه اسم النظام الجمهوري الديمقراطي. وقد كان هذا النظام في الحقيقة نظاماً عسكرياً ديكتاتورياً يزداد فيه المضمون الاستبدادي القمعي ـ وقد أتبع الشيشكلي كل ذلك بتشكيل مجلس نيابي يحقق رغباته ويؤيد دستوره.

١- جريدة البعث ١٨/١٠/١٩٥٣.

obeikandi.com

وكانت نتيجة الانتخابات التي كان التزوير فيها يجري علناً بمراكز الاقتراع كما يلي:

حركة التحرير ٧٢ مقعداً من أصل ٨٢ والحزب القومي السوري بمقعد واحد والمستقلون ٩ مقاعد ـ وكانت نسبة الناخبين ٨٪ في حمص ١٦٪ في دمشق ١٦٪ في المحافظات الأخرى[١]. بالرغم من التزوير الكبير في أكثر الصناديق ـ وقد انتخب الدكتور مأمون الكزبري رئيساً لمجلس النواب.

وقد شنت الأحزاب المعارضة هجوماً قاسياً وانتقاداً لاذعاً على الشيشكلي نشرته جريدة البعث السورية وهذا مقطع منه تحت عنوان..

نتيجة الانتخابات[٢]

في يوم الجمعة الواقع في ٩ تشرين الأول ١٩٥٣ أمَّ صناديق الاقتراع أعوان وأنصار الزعيم أديب الشيشكلي وأعضاء حركة التحرير، وكان التزوير يجري علناً بمراكز الاقتراع وجاءت نتيجة حصيلة الانتخابات كما كان متوقعاً لها، فقد فازت حركة التحرير بـ ٧٢ مقعداً من أصل ٨٢ وفاز الحزب القومي السوري بمقعد واحد، وفاز من سموا بالمستقلين بتسعة مقاعد، وكانت جبهة المعارضة الممثلة بالحزب الوطني وحزب الشعب وحزب البعث العربي الاشتراكي وأكثر زعماء البلاد المستقلين قد قرروا مقاطعة الانتخابات، وطالبوا بتأجيلها كما طالبوا بتشكيل وزارة ائتلافية تمثل الأحزاب جميعها ما عدا حركة التحرير، ولكن السلطة تجاهلت هذه المطالب، وكانت نسبة الناخبين ٨٪ في حمص و١٦٪ في دمشق و١٦٪ في محافظات الريف، ولم تكن هذه الانتخابات نزيهة سليمة، بل كانت تلعب بها الأهواء الشخصية وأعوان الشيشكلي، وانتخب الدكتور مأمون الكزبري، صنيعة الشيشكلي، رئيساً لمجلس النواب، فشنت الأحزاب المعارضة هجوماً وانتقاداً لاذعاً على الشيشكلي حسب بيان نشرته جريدة البعث السورية، وهذه مقاطع منه: «يحاول اليوم مغتصب الحكم في سورية ملء السجون الرهيبة بأحرار البلاد، بعد أن اصطنع حركة التحرير وشكلها

١- نواب الجبل في مجلس الشيشكلي: محمد أبو عسلي السويداء ـ جاد الله عز الدين شهبا ـ جاد الله العيسمي صلخد.

٢- جريدة البعث ١٨/١٠/١٩٥٣.

obeikandl.com

من كل خائن وعميل، يحاول أن يجعلها تسد الفراغ السياسي الذي تعيشه البلاد، بعد تعطيل الأحزاب الشعبية الديمقراطية التي استمدت وجودها من حاجات الأمة وناضلت ضد الاستعمار... هكذا نفذ الشيشكلي مهازله الأربعة: حركة التحرير ـ الدستور ـ رئاسة الجمهورية ـ المجلس النيابي تحت عوامل الضغط والإغراء والإكراه.

وكانت ردة الفعل قوية عند أكثر المواطنين ومختلف الأحزاب السياسية بعقد المؤتمر العتيد أو الميثاق الوطني.

المؤتمر العتيد أو الميثاق الوطني

أعلن رجال البلاد وأعيانها رأيهم بعدم شرعية الانتخابات وعمموا على الشعب البيان التالي الذي يدعو إلى مقاطعة الانتخابات:

(إن العاملين في الحقل الوطني، حزبيين ومستقلين، قد حرصوا على تنبيه الفئة الحاكمة في سورية مراراً على مخاطر استهتارها بإرادة الشعب، فما اهتمت ولا راعت بل استرسلت في طغيانها، ودعمت الحكم الفردي القائم بكل ما تملك من وسائل القوة والإكراه، وحاولت إضفاء مظاهر الشرعية عليه.. ومهدت لهذه الأوضاع بخرق المبادئ والأعراف الدستورية، واستباحت الحرمات، والاعتداء على الكرامات والتطاول على الفعاليات الفكرية والعلمية واضطهاد رجال الأمة وأحرارها.

وعلى الرغم من إعراض الشعب عن الاشتراك في عملية الاستفتاء يصر المسؤول عن هذا الوضع على المضي في تنفيذ خططه وتدابيره، ويدعو إلى ما أسماه انتخابات نيابية لن تسفر، إذا تمت، إلا عن أشباه الموظفين الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا يمثلون أحداً ولا يكترث بهم أحد، ويجرؤ الحكم القائم على إنكار سيادة الشعب وقدسية الحريات اللتين لا معنى للديمقراطية بدونهما.

إن العاملين في الحقل الوطني يرون أن الأوضاع القائمة بما يحاوله النظام من إخلاء البلاد من مراكز التوجيه القومي وعناصر النضال، وتعرضه لما ينقص استقلالها وحريتها وسيادتها التي بذلت في سبيلها أكرم جهدها وأزكى دمها، ويستدرجها إلى حال من الضعف لا تستطيع معه القيام بواجبها المقدس نحو قضية فلسطين وقضايا العرب.

الحناوي: ص ١٠٨-١٠٩

obeikandl.com

ولشعورهم بما تستوجبه هذه الفترة العصيبة التي يجتازها الوطن من تضامن أبنائه لإنقاذ سمعته وكرامته واستعادة الحياة الحرة فيه وتجنيبه المخاطر والمغامرات الملازمة لكل حكم فردي، فقد جمعوا أمرهم في جبهة وطنية تمثل الشعب، وتعبر عن إرادة الأمة التي تريد أن تعيش حياة كريمة مستقرة، لا يعكرها استبداد داخلي، ولا سلطان أجنبي.

ووقعوا هذا الميثاق متعاهدين على العمل بإخلاص وإيمان على تحقيق المبادئ التالية:

أولاً: شجب الحكم الفردي وعدم الاعتراف به، واعتبار ما يصدر عنه غير ملزم للبلاد.

ثانياً: إقامة أوضاع دستورية جمهورية نيابية ديمقراطية في البلاد تنبثق عن انتخابات حرة صحيحة.

ثالثاً: إطلاق الحريات العامة وضمانها بحيث يشعر كل فرد من أبناء البلاد أنه في حمى القانون.

رابعاً: حماية الاستقلال والسيادة القومية من المؤتمرات الداخلية والخارجية.

خامساً: الجيش ملك الأمة وواجبها تقويته وإعداده للقيام بمهمته المقدسة المنحصرة بالدفاع عن حدود الوطن وسلامته.

وفي سبيل الشروع في تحقيق مبادئ هذا الميثاق يعلن موقعوه أنهم يقاطعون انتخابات يوم ٩ تشرين الأول ١٩٥٣ وإن الموقعين رغبة منهم في تنظيم العمل القومي وتوجيه الشعب التوجيه الصحيح المستمر قد ألفوا لجنة مركزية للعمل على تحقيق بنود هذا الميثاق وهم يرجون أن يكتب للشعب، بفضل اتحاده ونضاله المشروع، الخلاص من محنته وينال حريته وكرامته.

دمشق ١٦ أيلول ١٩٥٣

التواقيع

سلطان الأطرش القائد العام لجيوش الثورة السورية، إحسان الجابري، أحمد القضماني، أحمد الشراباتي، أسعد هارون، أسبر اليازجي، إحسان حصني، أحمد المحمود، أحمد المثبوت، أديب النحوي، أبو الهدى اليافي، ليان الشويري، إيليا اسحق، بدوي الجبل، بهجت نصور، بشير القضماني، توفيق الحياني، جمال علي أديب، جبرائيل غزال، جلال السيد، جورد إجيا، جعفر الحسني الجزائري، جورج ليان، حسن الحكيم، حسني البرازي، حنا صوايا، حامد ناجي جرجيان، رشدي الكيخيا، رشاد برمدا، رزق الله سالم، رياض عبد الرزاق، ريمون عازار، رزق الله

obeikandi.com

ليان، رياض علي أديب، رزق الله إنطاكي، رشاد جبري رياض المالكي، زكي الركابي، زكريا قاطرجي، حسن مراد، أديب نصورة، سعيد حيدر، سامي كبارة، سامي المعصراني، سليم عقل، شاكر العاص، شريف زين العابدين، شاكر الفحام، شمس الدين الحسني، صبري العسلي، صبحي العمري، صبحي والي، صلاح شيخ الأرض، صلاح شاهين، طريف الكيالي، عبد الرحمن الكيالي، عبد الرحمن العظم، عدنان الأتاسي، عبد الوهاب حومد، عفيف الصلح، علي بوظو، عادل العجلاني، علي الحياني، عبد الغفور المسوني، عبد الله فركوح، علي هارون، عبد القادر شريتح، عبد الهادي المعصراني، عبد الحميد دويدري، عبد الغني القضماني، عزت أحمدوك، عاطف سلطان، عبد الله العاشوري، عبد السلام ياسين، عثمان اسبر، عادل قزيها، عبد الرحمن ماردیني، علاء الدين الخاني، عبد الحليم قدور، علي عدي، عبد البر عيون السود، عبد الفتاح زلط، غالب ميرزو، فيضي الأتاسي، فاخر الكيالي، فرحان الجندلي، فاضل الغضنفر، فنشان بليط فؤاد طاهر، فوزي الصفوة، قاسم ياسين، كميل عربي، لطف الله الحفار، لطيف غنيم، ليون زمريا، محمد العايش، ميخائيل ليان، محمد المبارك، محمد الجارودي، منير السادات، محمد الشواف، مجاهد الجندي، مسام الحداد، ميشيل قره، محمد طلس، محمد الأشتر، محمود السبيتي، ماجد ضيفة، مدني شومان، محي الدين مرهج، مصطفى عيسى، محمد سيرجيه، مصطفى العطار، محمد علي القباني، مصطفى حمد، محي الدين رسلان، موفق المهايني، مدحت البيطار، محمد سعيد أبو كف، محمد عطورة، نوري المهايني، ناظم سقال، هاني السباعي، وجيه الحلاج، وهيب الغانم، يوسف خدام، يحيى عذرا.

كلمة الرئيس هاشم الأتاسي:

(إن رجال الوطنية وأصحاب الرأي في البلاد لم يدخروا جهداً في بيان الواقع والكشف عن الحقيقة مذ شرع ولي الحكم الحاضر بإضفاء ثوب المشروعية على الأوضاع التي أقامها، فلقد توجهوا إلى المسؤول عن هذه الأوضاع في مذكرة نشروها على الملأ ثم عقدوا مؤتمرهم في مدينة حمص في الرابع من تموز الماضي ونشروا بياناً أقره المؤتمرون وأبانوا فيه عن المخاوف والمحاذير التي تترتب على إنكار سيادة الشعب وإقامة الحكم الفردي في البلاد.

غير أن ما أجمع عليه أولو الوطنية وأصحاب الرأي والفكر من حزبيين ومستقلين، وما أرسلوه من بيانات ونداءات لم يؤثر، على ما يظهر التأثير الذي كان يرجوه المخلصون.

openkanal.com

فقد مضى المسؤول عن الحكم القائم بأعماله الرامية على إلباس الوضع الذي أقامه ثوب المشروعية، ودعا إلى انتخابات أسماها نيابية وعين موعدها، الأمر الذي لم يغير عند تمامه شيئاً من حقيقة الواقع وهو أن البلاد سوف تساس وتدار شؤونها بحكم فردي مطلق.

وعلى هذا فقد استجاب رجالات البلاد إلى نداء الواجب، وألفوا جبهة وطنية واحدة جامعة غايتها السعي لإقامة حكم جمهوري ديمقراطي صحيح ينبثق عن انتخابات حرة، وإني قد أطلعت على الميثاق الذي وقعوه، وتعاهدوا فيه على العمل لأعلن تأييدي له تأييداً مطلقاً، لأن حكم الديمقراطية والشورى في ظل الحريات العامة هو الضامن الأول والأخير لسلامة البلاد، والكافل لحقوق الشعب في حياته السياسية، وفي أسباب معاشه).

حمص ١٧ أيلول ١٩٥٣ هاشم الأتاسي

ثورة الطلاب في عموم المحافظات السورية[١]

كان من الطبيعي أن يتحسس المتفوقون (مدرسون ومعلمون وطلاب) ظلم الديكتاتورية وطغيانها وضغطها على جميع شرائح المجتمع لتحقيق مطامع الدكتاتورية وأسياده المسيطرين عليه والداعمين لسلطته. وقد انتهك الطاغية حرمة الجامعات والمدارس الثانوية ودور المعلمين والمعلمات، وأغلق الجامعة السورية وشرَّد طلابها واعتقل قسماً وافراً منهم، وشرّد قسماً آخر، وقد أتخمَ السجون والمعتقلات برجالات المستقبل حتى غص سجن تدمر بالمعتقلين في أكثر المحافظات واستشهد الكثيرون منهم تحت الضغط وفنون التعذيب والاعتقالات.. لكن جميع أنواع العنف والتعسف والتشريد، لم تثنيهم عن عزمهم وإعلان رأيهم بصراحة لكشف الستار عما يضمره الشيشكلي وأنصاره. ونفَّذ الطلاب إقامة مؤتمرات عامة في كل المحافظات ووزعوا البيانات المندة بنظام الشيشكلي الديكتاتوري، وأقمنا طلاب السويداء مؤتمراً في عين الزمان تكلم فيه السيد محمود نوفل من صف متقدم كذلك بديع صعب، ومنذ شهور خلت كان السيد جادو نصر يذكرني بما قلت في هذا المؤتمر وأنا طالب في الصف العاشر. من رفع

١- الحناوي ص ١١٧-١١٨.

obeikandl.com

شكوى للأمم المتحدة أو هيئة الأمم نشرح فيها مظالم الديكتاتور وتجاوزات أعوانه وشكلنا لجنة تمثلنا أمام المسؤولين وتدافع عن حقوق الطلاب والمواطنين. وأذكر أن رجال الشيشكلي أخذوا صور المؤتمر من المصور مخول وراحوا يكبلون الطلاب الذين تكلموا في المؤتمر ليزجوا بهم في السجون..

وفي حلب جرت مظاهرات صاخبة ضد الدكتاتورية قمعها المحافظ كمال نور الله وأعوان الشيشكلي فثارت ثائرة الطلاب بتجديد مظاهراتهم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ يوم ذكرى سلخ لواء اسكندرون وتقسيم فلسطين فتحدوا المحافظ ورجال السلطة بعنف وقد انتشرت المظاهرات في بقية المحافظات السورية تضامناً مع طلاب حلب وقد ألقى الكثير من الطلاب خطباً حماسية نددوا فيها بالعهد القائم، ونادوا بسقوط الحاكم الديكتاتوري وحركة التحرير والمجلس النيابي المفروض على الشعب فرضاً وقد عبر الكثير من الطلاب عن رأيهم بصراحة بمنشورات متعددة وزعت سراً باسم طلاب سوريا نقتطف منها ما يلي:

أيها الشعب المناضل، لقد صبرت فأكلت الصبر، وانتظرت فأعياك الانتظار، وأنت تراقب أعمال هذا المتبجح الذي زعم أنه يريد الإصلاح، فما كان من دعواه للإصلاح إلا صدور مراسيم تشريعية، حمت مصالحه ومصالح الإقطاعيين، فأرهق كاهل الشعب بالضرائب الفادحة، وبارت التجارة والصناعة والزراعة، وانتشرت البطالة، وعم البؤس في البلاد، كل ذلك بسبب جهل المسؤولين بالسياسة وصرف أكثر الواردات في سبل غير منتجة، وملايين الليرات للتجسس على أحرار الشعب.

بيان مجلس الطلبة في لبنان[1]

يبدأ بالعبارات التالية:

* مجلس الطلبة في لبنان يحيى إخوانه المجاهدين في سوريا.

* عبثاً تحاول الديكتاتورية أن تعيش على أشلاء المواطنين.

* وينتهي بما يلي: إن مجلس الطلبة في لبنان يبعث إلى إخوانه طلاب سوريا الأحرار بتحية تشجيع وإكبار، فنحن معكم في النضال حتى تشرق شمس الحرية والعزة والرفعة.

فـــلا يـــبني الممالـــك كالـــضحايا

ولا يـــــدني الحقـــــوق ولا يحـــــق

وللحريـــــــة الحمـــــــراء بـــــاب

بكـــــل يـــــد مـــــضرجة يـــــدق

مجلس الطلاب في لبنان

منشور العمال

إن أهم أهداف الشيشكلي الذي قام بتشجيع الاستعمار الأجنبي، واضطهاد الشعب وإذلاله وامتهان كرامته. فأصاب العمال والفلاحين عصب الأمة من هذا الاضطهاد النصيب الأوفر.. إن الظفر سيعقد لواؤه لك أيها الشعب الأبي بتضامنك وصمودك في وجه المعركة، التي شنها الاستعمار ضد تقدمك وارتقائك، لا بل ضد حياتك وبقائك.

العمال الأحرار

١- الحناوي ص ١٢٢.

obeikandl.com

وعلى أثر توزيع هذه المنشورات والاضطرابات والمظاهرات التي ازدادت واستفحل أمرها وكانت كلها تدعو لإسقاط ديكتاتورية الشيشكلي وكان كل من الأساتذة منصور الأطرش ـ وشبلي العيسمي ـ ونايف علي جربوع، قد تعهدوا بتوزيع المنشورات في دمشق وحوران والجبل ـ وقد ورد في كتاب بيير بيداغوف «الصراع في سوريا» أن أديب الشيشكلي أعطى أمراً في كانون الثاني ١٩٥٤ باعتقال اثنين من أبناء زعيم ثورة سنة ١٩٢٥ في السويداء «سلطان الأطرش» اللذين نظما انتفاضة الطلاب في حلب وكذلك عدد من زعماء الجبل الذين ساندوهما وبنفس الشهر تم اعتقال عدد من الزعماء السياسيين، بينهم صبري العسلي، أكرم الحوراني، ميشيل عفلق، صلاح الدين البيطار وغيرهم ـ بتهمة قيامهم بالنشاط المعادي للدولة والتحريض على المظاهرات والاضطرابات ووضع زعيم الجمهورية السابق تحت الإقامة الجبرية، وجرت داخل الجيش اعتقالات واسعة، وتسريحات وتنقلات كثيرة[1].

وقد تم اعتقال منصور الأطرش صباح الأربعاء ١٩٥٤/١/٢٠ إلى سجن السويداء، وشبلي العيسمي في اليوم التالي إلى سجن القلعة بدمشق، وصدرت مذكرة توقيف بحق الأستاذين نايف علي جربوع ونبيل الشويري.

ولدى استجواب الأستاذ منصور الأطرش في النيابة العامة، اعترف بأنه يتحمل كل ما نتج عن حمله للمنشورات وتوزيعها، لأنه مؤمن بضرورة مقاومة الشيشكلي وتقويض أركان عهده، وبضرورة عودة البلاد إلى الحياة الدستورية[2] ولما رفض النائب العام في السويداء بعد التحقيق إخلاء سبيله بكفالة مالية ـ قام طلاب القريا بمظاهرة سلميّة اصطدموا خلالها مع درك مخفر القريا الذين أطلقوا النار على الطلاب فسقط بينهم عدد من الشباب جرحى. واعترف مدير الناحية في بيت سلطان باشا بأن الطلاب على حق وطلبهم مشروع ـ وسيرفع تقريراً بهذا الصدد للمراجع المسؤولة.

هذه الأحداث أوجدت للشيشكلي المبرر لتنفيذ مآربه في مهاجمة القريا واعتقال سلطان الأطرش وبدأ اعتباراً من ١٩٥٤/١/٢٧ باعتقال الكثيرين من زعماء سوريا

١- بيير بيدا غوف ص ٧٣.

٢- الحناوي ص ١٢٤.

obeikandl.com

بحجة الإخلال بالأمن واجتماعات غير مرخصة لأحزاب منحلة[1]:

فأوقف في حلب: رشدي الكيخيا ـ ناظم القدسي ـ إحسان الجابري.

وفي دمشق: صبري العسلي ـ شاكر العاص ـ علي بوظو ـ ميشيل عفلق ـ صلاح الدين البيطار.

في حمص: فيضي الأتاسي، عدنان الأتاسي، أكرم الحوراني في حماه وحسن الأطرش في السويداء.

وفُرضت الإقامة الجبرية على هاشم الأتاسي وسلطان الأطرش، وجرت اعتقالات واسعة بين عناصر الجيش.

وأُعلنت حالة الطوارئ في كل من دمشق وحلب وحمص وحماه والسويداء. ثم تم اعتقال كل من: **شاكر العاص، حسين البرازي، معروف الدواليبي، اللواء زيد الأطرش.** وصدرت الأوامر بعد ذلك في دمشق إلى اللواء السادس الموجود في ازرع بالزحف إلى الجبل وتطويق القريا عرين سلطان الأطرش تمهيداً لاعتقاله.

قوات الشيشكلي في الجبل

((هذا الفصل ملخص من كتاب الحناوي من صفحة ١٢٥ إلى ص ١٧٠))

دخلت القوات إلى السويداء في ٢٧ كانون الثاني وتابعت حتى القريا فطوقت دار سلطان تمهيداً لاعتقاله وقد اشترك مع اللواء السادس الفوج السابع من قطنا وأفواج أخرى حتى بلغ عدد الجنود أكثر من خمسة عشر ألفاً، وقطعت طرق المواصلات بين الجبل ودمشق والمحافظات الأخرى واقتربت القوات من منزل سلطان الأطرش ثم حاولت اقتحامه لكنها اشتبكت مع الرجال الموجودين في البيت اشتباكاً عنيفاً أدى لسقوط ثلاثة شهداء هم:

ملحم وحسيب الغريزي، وصالح العوام لكن الأهالي ثارت ثائرتهم وهاجموا المفرزة العسكرية المكلفة بإلقاء القبض على الباشا وأرغموها على الفرار، وأسروا ثلاثة من

١- الحناوي ص ١٢٤-١٢٥.

obeikandl.com

جنودها، وبعد حضور مدير ناحية القريا إلى المضافة كلفهم سلطان مع مدير الناحية لمقابلة القيادة العسكرية **وقال كلمته المأثورة: «قولوا لقائد هذا الجيش، رصاصنا في قلوبنا ورصاصهم في قلوبهم»**.

وبعد وصول مشايخ الدين وقاضي المذهب وبعض الوجهاء من أبناء الجبل كلف وفداً منهم لمقابلة العقيد فؤاد الأسود يستفسر عن سبب تطويق القريا ووضع حل للأزمة أو يتحمل هو المسؤولية، ولمس أعضاء الوفد حرص سلطان الأطرش الشديد على سلامة الوطن واستقلاله، ونقلوا كلمات سلطان الأطرش التي كلفهم بإبلاغها للعقيد الأسود قائلاً: **إن الدروز الذين ضحوا بالآلاف من شبابهم من أجل استقلال البلاد ورفع رايتها عالية لا يريدون مجابهة أبناءهم، وفلذات أكبادهم، ولن يهدموا ما بنوه أو يقتلعوا ما غرسوه... كما أنهم لم يتعودوا أن يناموا على ضيم»**.

وهم يدركون أن الجيش هو جيشهم وأنه القوة التي يعدها الوطن لمجابهة العدو الرابض على الحدود كما أنهم لا يجهلون أن الأكثرية من عناصر هذا الجيش يساقون مرغمين للتنكيل بإخوانهم وأبناء وطنهم[1]...!!

وعند مقابلة الوفد للعقيد الأسود أظهر ارتياحه وعزمه على الحيلولة دون إراقة دماء بريئة وطلب تسليم ٢٦ شخصاً من الشباب الذين قاموا بالمظاهرة، وبما أن بعض الشباب قد غادر المنطقة فاكتفى بتسليم ١٧ شخصاً، ومع ذلك لم تنسحب القوات بسبب تشديد أوامر الشيشكلي وإصراره على اعتقال سلطان الأطرش.

وعندما أسرع المواطنون من القرى المجاورة وشاهدوا القوة الهائلة بعدتها وعددها التي تطوق القريا، انتشروا حولها مهددين متوعدين وغدت القوة العسكرية بين طوقين ونظراً لكثرة الأمطار والبرد القارس اتخذوا خربة نمرة مقراً لهم، وهم من القرى المجاورة برد ـ بكا ـ أم الرمان ـ عنز ـ الغارية... وبعضهم كان يحمل قطعاً من السلاح القديم والعصي وأكثرهم عزل من السلاح إلاّ سلاح الإيمان والتضحية.

أما في مدينة السويداء فقد كانت حركة الناس نشطة، فعقد اجتماع كبير في دار المجاهد حسين مرشد رضوان، وآخر في بيت يونس جربوع، وقامت مظاهرات

١- الحناوي ص ١٢٧.

obeikandl.com

صاخبة تنادي بسقوط الشيشكلي، وصوبت المدافع والرشاشات من القلعة باتجاه السويداء تهدد كل بيت وكل شارع. وقد وصل الأمير طلال عامر من شهبا، وقابل العقيد فؤاد الأسود فكلفه بالاتصال بالمتظاهرين، ورفع مطالبهم للحكومة. **وكانت هذه المطالب نفس مطالب مؤتمر حمص:**

١ـ إقالة أديب الشيشكلي من الحكم.

٢ـ حل المجلس النيابي وإلغاء الدستور لعدم شرعيته.

٣ـ عودة الجيش إلى ثكناته وإلغاء الأحكام العرفية.

٤ـ إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

٥ـ التمسك بقرارات مؤتمر حمص وتسليم البلاد لأصحابها الشرعيين.

وقد أبلغت هذه المطالب للعقيد الأسود، وربما لم يستجب لها ولم يرفعها للمرجع الأعلى...

ازدادت الأمطار والعواصف وبرد الجبل الشديد مما أدى إلى قطع التموين والعتاد عن القوى المحاصرة والمحاصرة، وقد أنهكها التعب بصورة مكثفة على طول خط الحصار. وعندما أبرق العقيد الأسود إلى الزعيم الشيشكلي يخبره الحقيقة ويصور له مشاعر الخوف من هجوم للمقاتلين الذين طوقوا قواته المحاصرة لبلدة القريا فأوعز الشيشكلي بسحب القوات فوراً من محيط القريا، إلى السويداء وبصرى حتى يتحسن الطقس للعودة لمهاجمة القريا.. ولكن العقيد الأسود قد طلب تسليم عدد آخر من الشبان المتظاهرين، وعندما اجتمع الوسطاء مع سلطان الأطرش وعرضوا عليه الخطوط الرئيسية للاتفاق الذي تم مع آمر الجيش، وجدوا كل تشجيع لتحقيق رغبة العقيد الأسود بتقديم الشباب المطلوبين من تلقاء أنفسهم، شريطة انسحاب الجيش كما نص الاتفاق[1]..

وعندما عزم الجيش على الانسحاب كلف الباشا السيد نجيب الأطرش الذي أخبر المقاومين في قرية نمرة رغبة الباشا بمغادرة المكان لأن الصلح قارب على التحقيق. فانصرف المقاومون إلى قراهم وبدأت قوات الجيش بالانسحاب. وما كادت السيارات

١- الحناوي ص ١٢٩.

obeikandl.com

المنسحبة تمر قرب قرية نمره حتى تصدى لها الشاب مزيد الأطرش حيث اعتقد أن سلطان الأطرش معتقل مع هذه القوات فأطلق النار على هذه القوات التي اغتنمت هذه الفرصة وقصفت نمرة بالقنابل وتحركت المصفحات لاحتلالها حيث المقاومة أصبحت فيها قليلة فسقط على أثر ذلك المجاهد الملقب بدبابة الجبل سليمان حمد الأطرش كما سقط الشهيد المرحوم الشيخ محسن قرقوط الذي فضح مساوئ العهد الديكتاتوري كذلك استشهد المأسوف عليه ممدوح حسين الأطرش وجرح عدد كبير من المقاومين بعد قصف المنطقة بالمدافع والرشاشات بشراسة بينما دافع المقاومون بالسيوف والفؤوس والحجارة، وبعض البنادق القديمة ثم دخل الجيش قرية نمرة وأجهز على الكثير من الجرحى بإطلاق الرصاص عليهم وهم عاجزون عن التحرك، وقد تابع الجيش طريقه إلى بصرى بعد أن ترك خلفه المآسي المحزنة في قرية نمرة، وهذه أسماء الشهداء الذين سقطوا في معركة نمرة والقريا[1]: **سلمان حمد الأطرش ـ محسن قرقوط ـ ممدوح حسين الأطرش، هاني الحناوي، علي رعد، منصور قرقوط، المعلم زيد بوز ـ محسن أبو شاهين ـ محسن حسن ـ فهد وهبة ـ سالم مهنا أبو عسلي ـ محمد أنيس شقير ـ حمد كيوان ـ سليمان حمد الصفدي ـ خليل الصفدي ـ صقر شقير.**

في القريا: قاسم أبو سعد ـ سلمان الحناني ـ حسيب غريزي ـ صالح العوام، ملحم غريزي ـ سلمان أبو طعمة، فهد حسون، عبد الكريم درويش.

بعد انسحاب الجيش من القريا ونمره لم تتمكن قطعة كاملة من الدرك (٧٥ دركياً مع سلاحهم) من الانسحاب، فأكرمهم سلطان الأطرش، وقدم لهم الطعام والشراب لمدة يومين ثم كلف ولده ناصر مع هايل الأطرش لمساعدتهم على مغادرة القريا سالمين.

مجزرة السويداء[2]

كان الشيشكلي قد نقم على العقيد الأسود بسبب مرونته بمواجهة الأحداث في الجبل وقبوله للحل السلمي، فأصدر مرسوماً بتعيينه حاكماً عسكرياً في السويداء،

١- الحناوي ص ١٣٠.

٢- الحناوي ص ١٣٢.

obeikandl.com

ومرسوماً آخر بنقل الزعيم رسمي القدسي من قيادة الجبهة على الحدود الفلسطينية ليحل محله، مزوداً بصلاحيات واسعة، مع قوات عسكرية كبيرة سحب منها كافة الجنود والضباط من أبناء الجبل. وما كاد يستقر به المقام حتى استدعى وفداً من شيوخ العقل وقاضي المذهب وعدداً من أعيان الجبل والوجهاء وأصحاب الرأي لمقابلته. وقد أعلن له هذا الوفد اطمئنان المواطنين، وحرصهم الشديد على عدم إراقة الدماء وعودة الحياة إلى طبيعتها. فتظاهر القدسي بالارتياح لما صرح به هذا الوفد، وشكره على ما أبداه من استعداد للسلم وخدمة الوطن وقال[1]:

نحن إخوان، وأنا منكم ولكم، جئت إلى جبلكم للمحافظة على النظام، وما حصل نعتبره مظاهرة عابرة، وقد صرفنا النظر عنها، وها أنا أعاهدكم بأنني سأزور الأهلين الذين فقدوا أبناءهم لأواسيهم على مصابهم، وهذه هي يدي تصافحكم على سنة البدو وعلي تقع مسؤولية كل طلقة تطلق من الجيش، وإنني أكلفكم بتفريق المجتمعين وصرف الناس إلى أعمالهم المعتادة.

وقبل أن ينصرف الوفد من المقر أرسل منادياً من قبله مع مكبر للصوت يطوف الشوارع منادياً بزوال الفتنة.

كان الكثير من الرجال في السويداء يجتمعون بدار أحمد قطيش والبعض الآخر بدار أنيس جربوع فانصرف أكثرهم لأعمالهم وبيوتهم بعد أن سمعوا كلام الواسطة ومكبر الصوت. بهذه الخدعة سنحت الفرصة للقدسي لإتمام عمليته الجهنمية فطوق المدينة من جهاتها الثلاث، وأخذ المشاة مواقعهم الإستراتيجية في المدينة، وفي الساعة الواحدة ظهراً زحفت القوة الهائلة على المدينة الآمنة من جهاتها الثلاث، وبدأ صريخ الدبابات والمصفحات مع إطلاق حممها المتفجرة على الأهالي والبيوت الآمنة أكثر من مائة وعشر مصفحات. وكان قد تم ترحيل عموم عائلات الموظفين إلى دمشق وهكذا تمكن القدسي من ضرب السويداء وترويع الأطفال والنساء. ولما بدأت القوات دخول البيوت، أجبر الناس على حمل السلاح، عصا سكين بندقية قديمة، للدفاع عن بيوتهم وعائلاتهم، لم يزد عددهم على العشرين شاباً لأن الكثيرين انسحبوا مع عيالهم العزل.

١- الحناوي ص ١٣٢.

obeikandl.com

من وجه الحملة. وكان الجنود يطلقون النار دون هوادة مع دخول البيوت وتفتيشها بيتاً بيتاً مع سلب كل ما تصل إليه أيديهم. وإطلاق الكلام البذيء والمسبات مع أعقاب البنادق وعصي الخيزران تلهب أجسام الأطفال والنساء والشيوخ. وساقوا أعضاء الوفد الذي قابل القدسي من بيت الشيخ أحمد جربوع إلى قلعة السويداء تحت إطلاق النار. وكانوا يضربون الشباب بوحشية حتى تنفجر الدماء من أجسادهم، وجروا البعض من رجليه في شوارع المدينة، وقد بلغ عدد سجناء الجبل بسجن القلعة والمزة بدمشق حوالي ١٥٠٠ سجيناً. ومن الوقائع المحزنة التي حصلت[1]:

من آل سرايا استشهد ثلاثة شبان قتل أحدهم وهو يتناول الطعام، ومن آل جربوع، تمَّ اقتحام منزل الشيخ أحمد جربوع الذي سعى جاهداً للوصول إلى حل سلمي مناسب، وراح يتحرك بين السويداء والقريا، وشكل وفداً قابل القدسي الذي تظاهر بأنه يؤيد بشدة التوصل إلى حل سلمي حقناً للدماء وكلف القدسي الشيخ بتهدئة الجماهير المترقبة في الشوارع والساحات، وما أن غادر الوفد مكتب القدسي حتى اقتحم الجيش مدينة السويداء واقتحمت مفرزة منزل الشيخ أحمد حيث كان الوفد الذي قابل الزعيم مجتمعاً عنده فأطلقت القذائف على مضافة الشيخ ودخل الجنود وأخرجوا سماحة الشيخ وأعضاء الوفد ونقلوهم بسيارة مكشوفة إلى القلعة للتحقيق معهم، وأطلق أحد الجنود النار على زوجة ابن الشيخ فأرداها صريعة، وعلى زوجة الشيخ مجموعة من العيارات النارية نقلت على أثرها إلى المستشفى لتنجو من الموت بأعجوبة. وقد حصل مثل هذه المآسي واشد لآل أبو عسلي ونعيم وبلاّن وقطيش والعربيد، وكان أبشع هذه الأحداث ما حل بالشهيدة رضوانية رضوان زوجة أحمد أبو سعدى التي أُطلِق الرصاص عليها ثم بقر بطنها أحد الجنود وهي حامل فسقط الجنين على الأرض.

وهذه قائمة بأسماء شهداء مدينة السويداء:

حسين سرايا، أحمد سرايا، شبلي جربوع، نجيب الفقيه، سليمان الفقيه، نجيب الحلبي، سعيد ثابت، سعيد ارشيد، يوسف الأباظة، حمود العربيد، محمد أبو حلا، حمد القنطار، أمين أبو فخر، إبراهيم جمول، نايف قرضاب، سعيد سنان، حسن أبو حمدان، حمد ارشيد، أسعد أبو

١- الحناوي ص ١٣٥، ١٣٧.

obeikandi.com

سعد، حرم الشيخ حسين جربوع، رضوانية رضوان، يسرى عز الدين، يضاف إلى ذلك حوادث النهب والترويع التي طالت أكثر البيوت والعائلات.

انتقال الباشا من القريا[1]:

بعد معركة السويداء ترك الباشا عرينه في القريا وتوجه مع زوجته وأولاده ناصر وطلال وأخيه هايل وبرفقته نخبة من شباب القريا وأعيانها منهم جاد الله شلهوب، صالح الصالح، سلامة مراد، حديثي مراد، والمجاهد نواف علي الأطرش، نايف وفؤاد وسليم وزيد وحمد جوديه من قرية قيصما، توجهوا جميعاً إلى سهوة البلاطة لينزلوا ضيوفاً في منزل الوجيه رشراش الحناوي ومنزل سماحة شيخ العقل يحي الحناوي، وقد وصل إليهم أيضاً في المساء المجاهد حسين مرشد رضوان وحسن الصفدي، وجدعان وصياح أبو عسلي، وحسين عبد الدين، وهندي حمزة، والمقدم الدكتور سعيد الكاتب وأحمد قطيش وغيرهم... ثم وصل بعد ذلك عميد آل جربوع السيد فضل الله جربوع صويباً[2] وأخذ الجميع يتداولون في الأمر الراهن فتشكلت لجنة نتيجة البحث اتخذت القرارات الآتية:

١ـ رفع احتجاج إلى جامعة الدول العربية عن طريق إحدى سفارات الدول العربية المجاورة.

٢ـ إرسال برقيات استنكار للأعمال الاستفزازية إلى كافة دول جامعة الدول العربية.

٣ـ يكلف من يتطوع لإيصال البرقيات والاحتجاجات إلى مرجعها الرسمي وهو وسائل الإعلام العربية. كما تكلف الأستاذ سليم حمدان بالسفر إلى لبنان من أجل نقل الأخبار والاحتجاجات.

٤ـ عدم التراجع عن مقاومة عهد الشيشكلي ولو كلف ذلك ثمناً باهظاً.

وبعد تأمين أسر المجاهدين في السهوة غادر الجميع إلى قرية حبران التي كان أهاليها قد وقفوا وقفة جبارة استطاعوا فك الحصار عن القريا من ناحيتها الشرقية وحالوا دون اعتقال الباشا ثم أحبطوا أعمال الجيش العسكرية، وقد سقط منهم الشيخ قاسم أبو سعد وسلمان الحناني شهيدين وجرح منهم عدد غير قليل.

١- الحناوي ص ١٣٩-١٤٠.

٢- أي مجروحاً.

obeikandi.com

أما المجاهد علي ذوقان الأطرش فقد توجه مع ركبه إلى بلدة مفعلة وهنا انضم المجاهد نسيب نصار، وحدثت اتصالات مكثفة مع أهالي المقرن الشرقي، لتأييد الثوار تأييداً مطلقاً.

التقت الفرق العسكرية التي اتجهت شرقاً في قرية ملح وهنا أصبحت قرية ملح مقراً للقيادة المؤقتة وعلى رأسها النقيبان صلاح الشيشكلي ومحمود الهنيدي والملازم محمود الدقور، وراحت تصدر عن هذا المركز المؤقت في ملح أوامر التحرك لأي جهة. دخلت القوات العسكرية بعد ذلك قرية قيصما وأقامت فيها ثلاثة مخافر، وبالغوا هنا في التدمير والنهب وإهانة المواطنين، ثم أقام الجنود عدة مخافر في قرية الهويا، حول مغارة كبيرة يسجنون فيها الناس «باستيل الهويا» وقد وصل سلطان الأطرش إلى الرشيدي ثم قرية اسعنا وكان يُستقبل بالنخوات والزغاريد خاصة في بيت الوجيه هائل علبه الذي استقبل الباشا مرحباً يقول: أهلاً وسهلاً بمنقذ الوطن وحامي دياره. وهنا جال بفكر سلطان موضوع مغادرة البلاد حقناً للدماء والابتعاد عن حرب أهلية مدمرة فجمع أصحاب الرأي من رفاقه وعرض عليهم هذا الحل، فوافقوا جميعاً، وانتقلوا بنفس اليوم إلى الرشيدة، وفي بيت الوجيه عقاب سجاع، وصل إليهم المجاهد يوسف العيسمي وقال: إن الجيش وصل قرية الهويا، وليس عندنا وقت للتروي، إما المواجهة الحربية، وإما الابتعاد المؤقت[1].

وفي صباح ١١ شباط ١٩٥٤ في الثلج والزمهرير، ترك الباشا ورفاقه الرشيدة سيراً على الأقدام وبدون طعام أو شراب، وكانت الشمس قد سطعت إلى مضارب البدو حيث استقبلهم شيوخ العشائر البدوية بالترحاب وإقامة الولائم ونصبوا لهم بيوت الشعر للإقامة مع فريقهم مثل: الشيخ حمود المعرعر وولده هلال من شيوخ العظماء.

لا تحسبوا بس أنتم على الخيل فرسان

حنا عظماه ومبهرين الدلالي...

١- الحناوي ص ١٤٥.

obeikandl.com

الموقف الأردني

وصلت سيارة أردنية من حرس الحدود للقاء سلطان الأطرش ورفاقه وقال الضابط «**إننا نرحب بقدومكم ولنا الشرف بتقديم أي خدمة تطلبونها**» فشكره الباشا، وطلب السماح للأستاذ حسين عبد الدين وصياح أبو عسلي للوصول إلى عمان وعرض وجهة نظر المجاهدين على الحكومة والمسؤولين هناك، لكن الموضوع تعقد قليلاً مع سلطات الأمن وحتى مع الحكومة خاصة بعد وصول السيد عبد الرحمن الهنيدي وزير الزراعة السورية إلى عمان، حاملاً معه أضابير المجاهدين التي تتضمن الأحكام التي أصدرتها المحاكم السورية بحق هؤلاء الثوار بعد توجيه التهم المختلفة إليهم، ويحمل طلباً من السلطات السورية، بتسليم سلطان ورفاقه إلى السلطات السورية، باعتبارهم متهمين بالتحريض على سلامة الدولة والقيام بأعمال الشغب.

عقد مجلس الوزراء الأردني جلسة طارئة برئاسة السيد فوزي الملقي، حضرها الوزير السوري عبد الرحمن الهنيدي، وبعد احتدام النقاش، وافق السيد هزاع المجالي وزير الداخلية على تلبية طلب الهنيدي لتسليم سلطان ورفاقه للسلطات السورية.

وقد كانت كلمة الفصل لمعالي وزير البلاط سليمان باشا طوقان حيث قال: إن جبل الدروز الذي قاوم الاستعمار سنين عديدة، وضحى لأجل سيادة الوطن واستقلاله بأعز ما لديه من تضحية بالنفس والنفيس، يستبعد أن تصح أو تصدق بأبنائه الظنون غير الوطنية، وتهم الخيانة، وإذا فرضنا أن الجبل على صلة بإسرائيل، فمن أين تكون الصلة، ولا يربط الجبل بإسرائيل حدود ولا جوار، فإذا كان الاتصال عن طريق الأردن فيكون الأردن المسؤول الأول والأخير، على خرق حدوده، وإذا عن طريق سوريا، فتكون الحكومة السورية والأمن السوري والجيش السوري هو المسؤول عن خرق حدوده. وقد أجمعت كلمة المعارضة السورية من جميع الأحزاب والكتل والمنظمات والطلاب على عدم شرعية العهد في سوريا وان الشيشكلي مغتصب السلطة، وإذا فرضنا أن الدروز لم يقابلوا المثل بالمثل وكان بالإمكان ولو بعشر أبنائه، أن يقف بوجه القوات السورية شهوراً لا أياماً معدودة...؟؟

Operkanar.com

وهنا أدرك السادة الوزراء حقيقة الوضع الراهن في سوريا ورفعت الجلسة إلى جلالة الملك حسين، فرفض طلب السلطة السورية وعاد الهنيدي بخفي حنين[1]. وقد أبرق جلالة الملك لسلطان باشا الأطرش طالباً منه العودة إلى الأردن بدعوة من جلالته، فعاد ورفاقه عن طريق مخفر الجفيف واستقبل استقبالاً حسناً حيث أودعوا سلاحهم وسيوفهم وخيولهم وسمح لمرافقة سلطان الأطرش بثمانية وثلاثين شخصاً فقط، من أصل ما ينوف عن مائة وأربعين. ظلوا في الأردن، ومنهم من عاد إلى الجبل.

المجاهدون الذين وصلوا إلى قضاء معان ـ مخفر المدور

متعب هلال الأطرش، يوسف هلال الأطرش، علي ذوقان الأطرش، ناصر سلطان الأطرش، جاد الله شلهوب، فايز غريزي، وهيب غريزي، نواف علي الأطرش، نايف جوديه، سليم جوديه، حمد جوديه، حسين مرشد رضوان، مجلي حمد البربور، ضامن البربور، نسيب نصار، حسين شجاع، سليمان شجاع، حسن الصفدي، أجود المغربي، حسن رعد، علي الشاعر، جميل الشاعر، هايل علبه، فايز حمايل، هايل قاسم بلان، سعيد خزعل.

تابع هؤلاء الطريق الشاق والطويل حتى وصلوا مخفر المدور.

أما الذين بقوا في الأردن دون معارضة من السلطات الأردنية: محمود البربور، محمد الأطرش، زيد عمر، هندي حمزة، محمد غريزي، سلامة مراد، صالح الصالح، حديثه مراد، أجود زيدان وعشرات غيرهم...

حركة قوات الشيشكلي في الجبل بعد مغادرة المجاهدين للبلاد

زحفت فرق القوات على كثير من قرى الجبل التي مر بها المجاهدون وسلطان بعد خروجهم من القريا، اعتباراً من سهوة البلاطة، حتى حبران والكفر وقيصما وطليلين وسالي والمشنف وملح واسعنا وغيرها، بقيادة الملازم أسعد الحكيم والإرهابي صلاح الشيشكلي وغيرهم من بعض الضباط المتعصبين وضعاف النفوس، فضربوا وسحقوا وحرقوا ونهبوا الكثير من البيوت في هذه القرى وقاموا بالكثير من الأعمال البربرية والوحشية ضد المواطنين العزل الأبرياء حتى جاء الفرج في ١٩٥٤/٢/٢٥ عندما تلقى صلاح الشيشكلي أمراً باللاسلكي من أخيه الطاغية بمغادرة الجبل فوراً إلى دمشق،

١- الحناوي ص ١٤٩.

obeikandl.com

بسبب حركة في الشمال، وهكذا انتهت مآسي الجبل من عمل الطاغية بعد أن سقط في هذه الأعمال ٦٦ شهيداً و٨٣ جريحاً وهدم أكثر من سبعين منزلاً[١].

نهاية عهد الشيشكلي وديكتاتوريته

بعد مؤتمر حمص ومهازل الشيشكلي المختلفة في الوصول إلى الرئاسة، وحل الأحزاب، وتعطيل الصحافة، ومظاهرات الطلاب، وأخيراً حوادث الجبل الدامية، تحرك عدد من الضباط الوطنيين الغيورين على مصلحة البلاد والعباد، في مقدمتهم الرئيس مصطفى حمدون والعقيد فيصل الأتاسي من حلب، والنقيب محمد الأطرش، والعقيد أمين أبو عساف والنقيب كاظم زيتون من المنطقة الشمالية بالعصيان المسلح، وفي صباح ١٩٤٥/٢/٢٥، قام المقدم فيصل الأتاسي مع مجموعة من الجنود باعتقال آمر المنطقة الشمالية واعتقال الملازم علي الشيشكلي آمر الشرطة العسكرية بحلب، وتوجه الرئيس مصطفى حمدون بدوره على رأس مجموعة من الجنود إلى إذاعة حلب فاحتلها، ثم أذاع منها بياناً مقتضباً أعلن فيه انفصال قيادة المنطقة الشمالية عن موقع مدينة دمشق ما دام الزعيم الشيشكلي فيها.

نص البيان: من قيادة المنطقة الشمالية والشرقية والغربية، إلى جميع أفراد وضباط الجيش السوري، ليس هذا بياناً أو نداءً، إنما هو عهد من ضباط وجنود الجيش السوري للشعب السوري الكريم.

لقد آلينا على أنفسنا أن نعود بالجيش إلى ثكناته، بعد أن أخرجته عن تقاليده النبيلة أغراض شخصية، آلينا على أنفسنا أن نمحي ما لحق بالجيش من عار ونعيد إليه مزاياه الرفيعة ومناقبه، ونعود بعدها إلى الثكنات، ولن يكون لنا دخل بالسياسة هذا نداء إلى رفاقنا في السلاح ليحذوا حذونا بهذا الشأن، لنتمكن من أن نعيد الأمور إلى نصابها إلى أن يتحقق الهدف، فإن المناطق الشمالية والشرقية والغربية تعلن انفصالها عن حكومة الشيشكلي، وتناشده أن يغادر البلاد حقناً للدماء..

باسم المناطق الحرة: الرئيس مصطفى حمدون

١- الحناوي ص ١٥٣.

obeikandi.com

وما أذيع بيان الرئيس مصطفى حمدون من محطة الإذاعة في حلب، حتى خرجت جماهير الشعب إلى الشوارع فرحة مبتهجة، وقامت مظاهرات التأييد، وهي تهتف بحياة الضباط الأحرار وتندد بالشيشكلي وتطالب بطرده من البلاد ومحاكمته. ثم تبع ذلك تأييد المناطق العسكرية الأخرى: المنطقة الوسطى حمص وحماه العقيد محمود شوكت.

المنطقة الجنوبية ذرعا ثم السويداء ثم دمشق التي قامت فيها مظاهرات صاخبة تطالب بطرد الشيشكلي واعتقاله ومحاكمته. وما أن شاهد الرئيس الطاغية من نافذة قصر الضيافة الجماهير الهادرة وسمع الأصوات التي تهتف بسقوطه ومحاكمته، حتى صعق وجحظت عيناه وأخذت أسنانه تصطك كما ذكر بعض مرافقيه في القصر وقال بصوت متقطع مرتجف «أهذا ما يريده الشعب»؟؟ فلتكن مشيئة الشعب. وفي الساعة الحادية عشرة من مساء يوم الخميس ٢٦ شباط ١٩٥٤، أذيع نص كتاب الاستقالة الذي صاغه السيد قدري قلعجي[1] رجل الديكتاتور الخاص وحامل أختامه وهذا هو النص الذي أذيع:

أيها الشعب الكريم... حقناً لدماء الشعب الذي أحبه والجيش الذي أفتديه، والوطن العربي الذي أردت أن أخدمه بتجرد وإخلاص، أقدم استقالتي من رئاسة الجمهورية إلى الشعب السوري العزيز الذي انتخبني، ومنحني ثقته الغالية، راجياً أن يكون ذلك خدمة لبلادي، سائلاً الله أن يقيها كل مكروه وأن يحقق وحدتها ومنعتها ويأخذ بيدها إلى قمة المجد...!!

أديب الشيشكلي

وقد غادر الشيشكلي قصر الضيافة بعد أن ودع عائلته وبعض وزرائه ـ متجهاً إلى بيروت بعد اتصال مدير الشرطة بدمشق بمدير الشرطة في لبنان وبالرئيس اللبناني اللواء شهاب، الذي وافق على دخوله إلى لبنان ـ ثم غادر لبنان بطائرة خاصة إلى السعودية... التي قبلته لاجئاً سياسياً، ويقال إنه اتصل ثلاث مرات قبل مغادرته لبنان، بالرئيس شمعون، وكان الجواب الذي يسمعه في كل مرة: الرئيس غير موجود...

كما يقال إن السفير الأمريكي في دمشق قد زاره في دمشق عصر يوم العصيان العسكري ونصحه بأن يستجيب لقرارات الجيش المتمرد، ويستقيل من منصبه ويغادر

١- الحناوي ص ١٥٨.

obeikandl.com

البلاد[1] وهكذا كان.. وكان أكثر السياسيين في سوريا الذين استبشروا بعودة الحياة الدستورية للبلاد قد زحفوا إلى حمص إلى الرئيس الأتاسي يطلبون منه البقاء في منصبه الذي استقال منه بضغط من الديكتاتور أديب الشيشكلي. فقبل برأي السياسيين وبقي في منصب الرئاسة حيث كلف السيد صبري العسلي بتشكيل وزارة انتقالية تكون حسب الاتفاق من الحزب الوطني وحزب الشعب والمستقلين، وقد اعتذر حزب البعث العربي الاشتراكي عن مشاركة الوزارة بالرغم من الإلحاح مع إعلان تأييده لها.. **وقد كانت هذه الوزارة:** تضم مع الرئيس صبري العسلي كلاً من: فاخر كيالي، بدوي الجبل، عفيف الصلح، فيضي الأتاسي، رشاد جبري، علي بوظو، حسن الأطرش، عبد الرحمن العظم، منير العجلاني، عزت الصقال..

١- الحناوي ص ١٦٦.

obeikandl.com

عودة القائد العام سلطان باشا الأطرش ورفاقه

في مطلع شهر آذار ١٩٥٤ حضرت خمس سيارات حكومية إلى مخفر المدورة، لتنقل سلطان الأطرش وصحبة من المجاهدين إلى العاصمة الأردنية عمان، وفي مدينة معان استقبلت عشرات الوفود الرسمية وغير الرسمية المواكب، وقد لبى سلطان الأطرش دعوة المجاهد الكبير عودة أبو تايه ووالده الذي رحب بالموكب قائلاً: أهلاً وسهلاً برجل العرب سلطان باشا الأطرش المدافع عن كرامة العرب ورفاقه المجاهدين.. وفي اليوم التالي نقل المجاهدين قطار خاص إلى عمان حيث عقد سلطان مؤتمراً صحفياً حضره أكثر من عشرين شخصاً من الصحفيين العرب والأجانب وقد ناب عن سلطان باشا في هذا المؤتمر الأستاذ عجاج نويهض ذو التاريخ المجيد شرح الموقف الحازم لأهالي الجبل، ورفضهم استخدام السلاح ضد جنود جيشنا العتيد بالرغم مما تعرضوا له من محن.

صورة لاستقبال الباشا ورفاقه يظهر فيها القوس المكلل بالزهور والورود والكثير من الشباب - وقد كنت مع المستقبلين، يظهر مع الوقوف على اليمين الأستاذ حسين الحجلي وعلى اليسار أبو سعود ومع الجلوس أحمد أرشيد وصياح المفوس من اليمين وحسين أبو عساف وأخي نصر من اليسار (١٩٥٤م)

وكشف للصحفيين زيف العهد الديكتاتوري، ومؤامراته على سوريا خاصة والوطن العربي، وبنفس اليوم قابل الوفد برئاسة سلطان الأطرش العاهل الأردني الملك حسين بن طلال فقدموا له الشكر وودعوه ـ وكان أعضاء الوفد في المقابلة متعب الأطرش ـ نسيب نصار ـ حسين مرشد ـ زيد الأطرش ـ عجاج نويهض ـ عبد الكريم مكارم. وقد غادر المجاهدون الأردن، مودعين بالتكريم والحفاوة إلى الجبل عن طريق صبحا وصبحية ذيبين حتى القريا..

وقد وصل إلى الباشا عدد من البرقيات إلى عمان نذكر منها: ١ـ برقية شكري القوتلي: من الإسكندرية إلى سلطان باشا الأطرش عمان.

نهنئكم والبلاد بالخلاص من الظلم والطغيان جهادكم على رأس بني معروف، كان العامل الأكبر لإنقاذ الأمة من الاضطهاد والظلم والذل، فأعاد نضالكم للأمة عزتها وكرامتها، كما أعاد ذكريات غضبه الجبل بقيادتكم ضد الاستعمار.

شكري القوتلي ـ الإسكندرية

٢ـ برقية آل البكري: وقد جاء فيها: إن حسامكم البتار الذي قضى على عهد طغيان الشيشكلي عرفته الأمة في شتى الملحمات التي نكبت فيها الحريات...

راجين من كرمه بقائكم وبني معروف الأشاوش ذخراً للوطن والأمة...

سعيد حيدر ـ فوزي البكري ـ نسيب البكري

٣ـ برقيات الحزب الوطني: وغيره من الأحزاب والسياسيين.

وقد وجه عطوفة القائد العام للشعب نداء بعد وصول مندوب الإذاعة السورية إلى القريا جاء فيه: بعد نكبة الحكم الفردي الرعناء، أتوجه إلى الجيش العربي السوري وضباطه وجنوده والبلاد جمعاء، بالشكر والعرفان على ما بذلوه في معركة الحرية التي أنقذت سلامة الوطن وضربت مثلاً للعرب أجمعين مثلاً حياً على أن إرادة الشعب هي العليا..

كما تقاطبت بعد ذلك عدة شخصيات سياسية ووفود إلى القريا للتهنئة ومباركة هذا الجهاد في سبيل الوطن والأمة جمعاء.

مثل زيارة الملحق العسكري المصري البكباشي جمال حماد ـ والزيارة التاريخية التي قام بها جبل لبنان إلى القريا وجبل العرب "لقاء الجبلين" وغيرها وغيرها ومثلها الكثير...!!

وأخيراً: كانت نهاية الشيشكلي بعدما أفلست مغامراته ومؤامراته واستقر في مزرعة كبيرة في البرازيل تقدر بملايين الدولارات... على يد المغترب نواف غزالة الذي أطلق عليه ثلاث رصاصات في ٧ أيلول ١٩٦٤ على جسر "واس الماس" في البرازيل فأرداه قتيلاً ليثأر منه لما اقترفته يد الطاغية من جرائم بحق الشعب السوري وقواه الوطنية وليثأر للشهداء والضحايا والمشوهين،وطويت بذلك صفحة من تاريخ سورية والوطن.

أضواء على مرحلة ما بعد الشيشكلي

احتفلت سورية في ١٧ نيسان سنة ١٩٥٦ رسمياً بالذكرى العاشرة لجلاء القوات الإنكليزية والفرنسية عن أراضيها، وتحول الاحتفال بيوم الجلاء إلى مظاهرة واسعة معادية للإمبريالية، وفي المهرجان الذي نظمه حزب البعث في ذلك الوقت، طرحت فكرة تحقيق الوحدة بين سورية ومصر، وذلك لأول مرة بشكل رسمي وجدي..

وفي ظروف زيادة التهديدات الخارجية كانت ضرورة نبذ التناحر الداخلي وتجمع كافة القوى لجمع الأحزاب الوطنية[1]. لتوحيد جهودهم أمام الخطر الخارجي للوصول إلى اتفاق وطني معين يخلص البلد من الفوضى والتبديل المستمر للحكومات. وبعد عقد عدة لقاءات لممثلي مختلف الأحزاب السياسية بإشراف ناظم القدسي رئيس البرلمان توصلوا إلى اتفاق تم بين أحزاب ومنظمات سوريا الأساسية، أقروا برنامجاً عاماً جديداً سمي بالميثاق الوطني.

شروط الميثاق الوطني

١ـ في مجال السياسة الخارجية: الامتناع عن دخول أحلاف واتحادات عسكرية عدوانية والسير على نهج الحياد الإيجابي ـ النضال ضد أعمال إسرائيل العدوانية ـ

١- بييربيداغوف ص ١٠٧.

obeikandl.com

تعميق وتوسيع التعاون مع مصر ـ عقد اتفاقيات اقتصادية وسياسية وثقافية يمكنها أن تكون أساساً للوحدة العربية الشاملة ـ تطوير العلاقات التجارية مع الدول الصديقة.

٢ـ في المجال الداخلي: وافقت جميع منظمات وأحزاب سورية السياسية على ضرورة تصنيع البلد والقضاء سريعاً على تخلفها الاقتصادي، وإقرار الضمان الاجتماعي، وإصدار قوانين لحماية حقوق العمال والفلاحين وتوزيع أراضي الدولة على الفلاحين المعدومين.

ونص الميثاق نزولاً عند طلب قادة البعث على فقرة تشدد على ضرورة إنشاء الوحدة بين سورية ومصر.

٣ـ وتم الاتفاق على تشكيل وزارة تعتمد في سياستها الخارجية والداخلية على فقرات الميثاق الوطني.

وفعلاً ألف صبري العسلي في ١٤ تموز ١٩٥٦ حكومة جديدة، دخل فيها ممثلو حزب البعث، استلم فيها صلاح الدين البيطار وزارة الخارجية ـ وكانت أهم جوانب سياسة هذه الحكومة العمل للاتحاد مع مصر وذلك تحت ضغط حزب البعث الذي وضع وحدة سوريا ومصر شرطاً أساسياً للاشتراك في الوزارة[1].

تشكيل حكومة الميثاق الوطني:

صبري العسلي رئيس الوزراء	وزير المالية	الحزب الوطني
محمد العايش	وزير دولة	الكتلة الوطنية
مجد الدين الجابر	وزير الأشغال والمواصلات	الحزب الوطني
عبد الباقي نظام الدين	وزير الصحة	الكتلة الديمقراطية
أحمد قنبر	وزير الداخلية	حزب الشعب
عبد الوهاب حومد	وزير التربية	حزب الشعب
رشاد جبري	وزير الزراعة	حزب الشعب
مصطفى الزرقا	وزير العدل	الكتلة الدستورية
صلاح البيطار	وزير خارجية	حزب البعث
عبد الحسين رسلان	وزير الدفاع الوطني	الكتلة الدستورية

١- بيير بيداغوف ص ١٠٨.

obeikandl.com

أما الميثاق الوطني الذي وقعته الأحزاب والكتل الوطنية فقد كان حبراً على ورق فقط حيث كانت تلك الأحزاب والكتل المشتركة بالحكومة أو المتواجدة على الساحة السياسية في البلاد آنذاك مرتبطة بالخارج وبالدول الاستعمارية باستثناء حزب البعث العربي الاشتراكي، وثلاثة أرباع الحزب الوطني، والحزب الشيوعي السوري.

فحزب الشعب بكامله كان مرتبطاً بعجلة السياسة العراقية، التي كانت تستهدف القضاء على استقلال سورية والتحاقها بالعراق، أما باقي هذه الأحزاب والكتل فقد توزع ارتباطها بين هاشميي الأردن وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والسعودية[1] وقد حصلت في هذه المرحلة أحداث هامة في سوريا وفي الوطن العربي أمر على ذكرها بإيجاز لشدة تأثيرها على الأوضاع الاجتماعية والسياسية خاصة في سوريا.

وبعد سقوط الشيشكلي في سورية برز على الساحة السياسية مجموعة من الضباط الذين لعبوا دوراً هاماً على المسرح السياسي كان له تأثير كبير على الأوضاع السياسية والاجتماعية في سوريا.

دخل المقدم شوكت شقير الضابط في الجيش اللبناني جيش الإنقاذ سنة ١٩٤٧[2]، بعد أن صدر تعميم على ضباط الجيوش العربية، أن الباب مفتوح لمن يريد التطوع بجيش الإنقاذ مع الاحتفاظ بكامل حقوق المتطوعين في الجيش الذي ينتمون إليه، وكان المقدم شوكت شقير من أوائل المتطوعين في جيش الإنقاذ، حيث اختاره القائد فوزي القاوقجي معاوناً له في الجنوب اللبناني وعندما قام حسني الزعيم بانقلابه المشهود طلب منه الالتحاق بالجيش السوري برتبته، بعد منحه الجنسية السورية.

قبل منه وتقرب إليه، واستمر في عمله إلى أن قام اللواء سامي الحناوي بانقلابه حيث انتقل للعمل في الإدارة المالية للجيش..

وقد قامت بين شقير وعدنان المالكي حرب ضروس أدت لنتائج سيئة على الوطن[3]، وكانت أول انتخابات نيابية بعد رحيل الشيشكلي قد أسفرت عن فوز

١- سامي جمعة: أوراق من دفتر الوطن ص ٢٠٠.

٢- سامي جمعة ص ١٥٤.

٣- نفس المرجع ١٥٥.

obeikandl.com

متوازن لكل الأحزاب المشاركة فيها، وكان الترسيخ لتلك الانتخابات، سبباً لابتعاد المالكي عن حزب البعث العربي الاشتراكي الذي شارك في النضال ضد نظام الشيشكلي. ومع أن المالكي لم يكن بعثياً وقد كانت علاقته بالبعث من خلال شقيقه رياض المالكي الذي كان من أركان الحزب، وكانت القطيعة بين عدنان المالكي والحزب نتيجة لترشيح الحزب للمرحوم صلاح الدين البيطار للمقعد النيابي عن دمشق عوضاً عن شقيقه الأستاذ رياض، فكان هذا السبب المباشر لانصراف العقيد المالكي، لتشكيل تنظيمه العسكري في الجيش، وكان هذا التشكيل غير متجانس، ضم الشيوعيين، واليساريين المتطرفين وضباط أديب الشيشكلي، بالإضافة لتكتل الضباط الشوام[1]، وعمد إلى ضم بعض ضباط الصف خاصة أولئك الذين تخرجوا على يديه من مدارس الرتباء في الجيش.

ولم يتأخر شوكت شقير عن الركب فجمع حوله بعض الضباط من جبل العرب وعلى رأسهم العقيد سلمان الشعراني والمقدم عز الدين الشوفي، وجميل زهر الدين وبعض العسكريين المنتمين للحزب القومي السوري مثل المقدم غسان جديد، أما عبد الحميد السراج الذي عاد حديثاً من فرنسا وقد ذهب عدة مرات إلى مصر، وقابل عبد الناصر...

فألحق بالشعبة الأولى بدمشق، وكان يحظى بثقة الجهات الثلاث، فالبعثيون يعتبرونه منهم، والمالكي كان يحبه ويقربه إليه، أما ولاؤه الأول فقد كان للعقيد شوكت شقير. في تلك الفترة برزت على الساحة الداخلية، ظاهرة زبائن السفارات، وهي الصيغة المهذبة لعبارة الجواسيس[2] ـ وكان زبائن السفارات الغربية وعلى رأسها سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، وزبائن السفارات العربية، وعلى رأسها السفارة المصرية هم الأنشط:

وعلى ثلاث شرائح: أصدقاء ـ عملاء ـ مخبرون.

وقد تركز نشاط السفارات أخيراً عل متابعة نشاط العقيد المالكي، بعد ابتعاده عن البعثيين، وقيامه بتشكيل تنظيمه العسكري الخاص، وقد بدا يتردد أن المالكي

١- أي من الشام (دمشق).

٢- سامي جمعة ص ١٦٠.

obeikandl.com

ينوي القيام بحركة انقلابية، وإقامة نظام ماركسي بزعامته، على غرار نظام فيديل كاسترو في كوبا.

يوم كان برتبة مرشح ضابط عام ١٩٤٠

١ـ استشهاد العقيد عدنان المالكي[١]

في مباراة لكرة القدم كانت تجري تحت رعاية رئيس هيئة الأركان العامة للجيش السوري العميد شوكت شقير بعد ظهر يوم الجمعة في ١٩٥٥/٤/٢٢ بينما كان شقير يتصدر الصف الأمامي للمنصة الرئيسية وإلى جانبه السفير المصري محمود رياض وكبار ضباط الجيش، وكان المالكي جالساً في الصف الثاني وفي الدقيقة العشرين من بدء المباراة دوت طلقات نارية على المنصة وإذا بالعقيد المالكي يسقط مضرجاً بدمائه، وبالقاتل يونس عبد الرحيم، يوجه مسدسه مجدداً إلى رأسه ويطلق النار ليسقط صريعاً على بعد ثلاث خطوات من جثة المالكي.

١- نفس المرجع ص ١٧٢.

وبعد وقوع الحادث مباشرة، باشرت قوى الأمن السياسي، والشرطة العسكرية والمدنية والدرك باعتقال السوريين القوميين في المدن والأقضية والأرياف، ومداهمة مكاتب ومراكز حزبهم ومقر ومطبعة جريدة الحزب، وكانت التعليمات تشدد على وجوب القبض على الجميع بما في ذلك قيادات وأمناء الحزب وفي مقدمتهم، عصام المحايري وجورج عبد المسيح وغسان جديد وغيرهم...

وتشكلت محكمة أنيط بها البت بقضية السوريين القوميين.. مباشرة..

وقد ذكرت الأنباء.. أن السفير المصري محمود رياض هو الذي أجبر المالكي على حضور المباراة بعد ما كان يهم بالسفر منذ الصباح إلى مدينة صيدا لزيارة خطيبته فاتصل به السفير ولما عرف أنه سيذهب إلى لبنان جاء إلى بيته ولم يدعه يذهب ولازمه حتى جاء معه إلى المباراة.

وهذا ما لفت النظر للدور الأكيد للسفارة المصرية بعملية الاغتيال.

٢ـ طرد الجنرال كلوب من الأردن

لقد حصل طرد الجنرال كلوب اليهودي البريطاني من الأردن في ١٩٥٦/٢/٢٩ بضغط من البعثيين والقوميين العرب والشيوعيين في الأردن بسبب التذمر الذي كان يسود أوساط الضباط الشباب في الجيش الأردني ـ وذلك بعد أن سلم كلوب باشا قائد الجيش الأردني والجيوش العربية مدينتي اللد والرملة والجزء الغربي من القدس للعصابات الصهيونية، وبعد أن ارتفعت أصوات عربية وطنية أعلاها صوت سوريا بتنحية الجنرال البريطاني اليهودي كلوب باشا، لذلك قام الملك حسين بإنهاء خدمات كلوب القائد البريطاني للجيش الأردني وعهد إلى الضابط الشاب علي أبو نورا برئاسة أركان جيشه وذلك بعد أن تعهدت مصر وسورية، بأن تدفع للأردن مبلغ الاثني عشر مليون جنيه إسترليني، التي كانت تقدمها بريطانيا مساعدة سنوية للأردن، والتي قطعت بعد طرد الجنرال كلوب[1].

٣ـ المؤامرة الكبرى سنة ١٩٥٦ على سوريا

في منتصف شهر تشرين الأول سنة ١٩٥٦، ألقي القبض على عدد من المتآمرين من

١- أوراق من دفتر الوطن ص ٢٣٠.

obeikandl.com

دمشق، ومن بينهم وزراء سابقون ونواب وسياسيون وعسكريون متقاعدون وصدر بيان رئاسة الأركان العامة عن اكتشاف المؤامرة المذكورة التي كانت تستهدف القضاء على استقلال سوريا، وإلحاقها بالعراق...

وبعد انتهاء التحقيق مع المتهمين أعلن قرار الاتهام الذي شمل نواباً ووزراء وسياسيين من مختلف الأطياف الاجتماعية والسياسية منهم النائب عدنان الأتاسي والنائب منير العجلاني، والوزير السابق سامي كبارة والدكتور عدنان العائدي والنائب ميخائيل ليان وغيرهم من المدنيين.

ومن العسكريين، أديب الشيشكلي الرئيس السابق والمقدم صلاح الشيشكلي والعقيد محمد صفا واللواء غازي الداغستاني مدير المخابرات العراقية والعقيد صالح مهدي السامرائي الملحق العسكري السوري في روما وغيرهم وقد حوكم المتهمون على مدرج جامعة دمشق، وكانت المحاكمة برئاسة العقيد عفيف البزري، وصدرت الأحكام بعد عدة جلسات بينها أحكام إعدام وأحكام بالسجن لمدد متفاوتة، ثم أُستبدلت أحكام الإعدام بأحكام مؤبدة لمن صدرت الأحكام بحقهم وجاهياً.

وبعد صدور قرار الاتهام في هذه القضية الذي وردت فهي أسماء وزراء ونواب قدم السيد صبري العسلي استقالة وزارته ليشكل وزارة ائتلافية على الشكل التالي:

صبري العسلي	رئيس الوزراء وزير الداخلية
خالد العظم	وزير دولة وزير دفاع بالوكالة
هاني السباعي	وزير المعارف
حامد الخوجا	وزير الزراعة
فاخر كيالي	وزير أشغال عامة ومواصلات
مأمون الكزبري	وزير عدل وشؤون اجتماعية
أسعد هارون	وزير صحة
صلاح الدين البيطار	وزير خارجية
خليل كلاس	وزير اقتصاد وطني
أسعد محاسن	وزير دولة

صبري العسلي

obeikandi.com

٤ـ تحقيق صفقة الأسلحة التشيكية

حيث كانت سوريا أول دولة كسرت حضر استيراد السلاح من الدول الغربية إلى الدول العربية بعقدها أول صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي واستوردت صفقة الأسلحة الروسية والتشيكية بالإضافة إلى أنها تغلبت على الغرب.

٥ـ تأميم القنال والعدوان الثلاثي على مصر:

يقول سامي جمعة في كتابه أوراق من دفاتر الوطن ص ٢٣٢:

في أواخر تموز سنة ١٩٥٦ أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قنال السويس بعد أن سحب البنك الدولي بضغط من الولايات المتحدة، موافقته على تمويل بناء السد العالي في أسوان. وفي ٢٩ تشرين أول بدأ العدوان الثلاثي على مصر بهجوم عسكري إسرائيلي تبعه فيما بعد هجوم فرنسي بريطاني وبدأت المعارك بين القوات المصرية وجيوش الدول الثلاث فسارعت سورية لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا ـ وبالرغم من قيام أعضاء السفارتين بحرق الأوراق والوثائق السرية في سفارتيهما تمهيداً للمغادرة تمكن بعض العناصر السورية التي تراقب السفارتين من العثور على بعض الوثائق الهامة قبل حرقها. مثل:

دفتر شيفرة «كود» لأسماء بعض السياسيين، من نواب ووزراء سابقين ورجال دين مسلمين ومسيحيين كانوا يتعاملون معهم في سوريا، حيث كان إلى جانب كل اسم حقيقي اسم حركي لاستعماله في مراسلات السفارة وبرقياتها مع الخارجية البريطانية، حرصاً من السفارة على سرية علاقتها بتلك الشخصيات ومن أطرف ما ورد في ذلك الدفتر من مسميات حركية، اسم الكردينال الذي أطلقوه على شخصية دينية مسلمة كانت تترأس حزباً كبيراً في ذلك الوقت، واسم أبو الهول وهو أحد الوزراء النافذين ـ واسم الشيخ علي على أحد رجال الدين المسيحيين واسم شكسبير على رئيس تحرير إحدى الصحف واسم الدوق على ضابط كبير...

وعند بدء العدوان الثلاثي على مصر قررت سوريا وقف تدفق النفط العراقي الذي كان يمر عبر أراضيها ويغذي الآلة العسكرية لدول العدوان، وقام المقدم عبد الغني قنوت والنقيبان نعسان زكار وهيثم الأيوبي بنسف الأنبوب العراقي الآنف الذكر،

obeikandl.com

كما قام الضابط السوري جول جمال بالإسكندرية بتدمير الباخرة الحربية الفرنسية في بور سعيد. من أهازيجنا القومية في الجامعة:

لما منذكر جول جمال

بهون الموت علينا

شق عباب البحر وجال

يحطم بأعادينا

النضال ضد ضم سوريا إلى حلف بغداد العدواني

إن مجرى الأحداث السياسية في سوريا وموقف الحكومة المعادي للإمبريالية أصبح عقبة هامة على طريق تشكيل الدول الإمبريالية للأحلاف الدفاعية في الشرق الأوسط التي كان هدفها بعد إتمام اتحاد تركيا وباكستان هو تحقيق اتفاقية عسكرية بين تركيا والبلدان العربية، بما فيها سورية. وقد أعلنت حكومتا العراق وتركيا في ١٩٥٥/١/١٢ قرارهما عقد اتفاقية للتعاون السياسي والاقتصادي والعسكري، واتخاذ إجراءات لاستقطاب الدول العربية إليها. وقامت حكومة تركيا بعد يومين بمحاولة لإجبار سورية على الانضمام للاتفاقية المقترحة إذ وصل إلى دمشق في ١٤ كانون وفد حكومي تركي برئاسة رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس وقد قامت مظاهرات صاخبة في دمشق فور وصول الوفد إليها واحتجاجات كبيرة في مختلف المدن السورية أفشلت المساعي التركية والإمبريالية لتحقيق أهدافها. وطالب حزب البعث والمستقلين والحزب الشيوعي الحكومة بأن تقف ضد اتحاد تركيا العراق كونه ينسف وحدة البلدان العربية. وزاد الضغط على الحكومة السورية من الشعب والجماهير مما أدى إلى استقالتها ـ وقد كلف من جديد السيد فارس الخوري بتشكيل الوزارة، كشخصية اجتماعية غير تابعة لأي حزب، ولم يتمكن من تأليف الوزارة حتى شكلها أخيراً السيد صبري العسلي من ممثلي الحزب الوطني والتجمع الديمقراطي المستقل. وأصبح خالد العظم وزيراً للخارجية ـ غير أن تركيا والعراق أعلنتا بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ بعد أن فشلتا في جر الدول العربية إلى حلفهما عن توقيعهما ثنائية للتعاون المشترك الذي

obeikandl.com

كان أساساً لحلف بغداد، وأعربت الصحف التركية عن أملها بأن تستمر تركيا باستخدام نفوذها لجذب حكومات عربية أخرى في الشرق الأوسط إلى هذا الحلف. علماً بأن توقيع التعاون العسكري من قبل العراق مع دولة غير عربية، قد ألغى بالطبع، معاهدة الأمن الجماعي للدول العربية سنة ١٩٥٠، كما وعرّض وحدتها للخطر.

لكن الدول الغربية لم تكف عن محاولاتها لضم سورية إلى الحلف العسكري الناشئ (حلف بغداد) لأن السياسة التي اتبعتها سوريا، كانت واحدة من أهم العقبات، على طريق استقطاب الدول العربية الأخرى إلى مشروع الاتحاد العسكري المطلوب...

وقد قام سفير الولايات المتحدة في دمشق في ٢٦ شباط يوم افتتاح المباحثات السورية المصرية بتسليم خالد العظم وزير الخارجية السورية مذكرة، يحذر فيها الحكومة السورية من تشكيل تنظيم دفاعي قومي على أساس ميثاق الدفاع الجماعي للدول العربية: (ميثاق الجامعة العربية) ورد خالد العظم على ذلك: إن سوريا ترفض قطعاً الانضمام إلى المعاهدة العراقية التركية، وبشكل عام ترفض أي تحالف عسكري موجه ضد وحدة الدول العربية، وإنه يعتبر تصريح الولايات المتحدة ضغطاً لا شرعياً على سورية، ومحاولة مفضوحة لنسف سمعة الجامعة العربية. وأسرعت تركيا بنفس الوقت تحشد قواتها على الحدود السورية، وبدأت الصحافة التركية حملة استفزازية إذ طلبت جريدة الدنيا من الحكومة السورية (قبول الأمر الواقع وإحناء الرأس والانضمام إلى حلف بغداد العسكري. أما صحيفة (الحرية) فدعت بوقاحة لإسقاط الحكومة السورية ـ وصرح مشعلو الحملة المعادية لسورية من الدبلوماسيين الإنكليز والأمريكان في تركيا (أنه يجب محو سوريا من خارطة الشرق الأوسط (بيير بوداغوف ص ٢٩٣).

في هذه المرحلة كنت طالباً بقسم الكيمياء كلية العلوم بدمشق واشتركت بكثير من المظاهرات ضد الأحلاف خاصة حلف بغداد. فقد قام الطلاب والجماهير واشتركت معهم بحفر الخنادق حول المدينة خاصة في قاسيون للتحصين والرد على تهديدات تركيا والأحلاف وعندما اشتركت سورية في أعمال مؤتمر باندونغ (مؤتمر الدول الأفروآسيوية) المعقود في باندونغ (أحمد سوكارنو) في ١٨ نيسان سنة ١٩٥٥ وقد اكتسبت سورية بحضورها هذا المؤتمر (مؤتمر الحياد الإيجابي) دعماً هاماً لنضالها اللاحق ضد الضغوط الإمبريالية [وأذكر هنا عندما هرعنا إلى مطار دمشق طلاباً

obeikandi.com

وعمالاً وجماهير لاستقبال زعماء مؤتمر باندونغ (أحمد سوكارنو ورفاقه) وكنا نتزاحم بالهتافات والعراضات وطرح الشعارات بعثيين وشيوعيين ومجموعات مختلفة وكنا كبعثيين عندما نرى الشيوعيين متجمعين يهتفون (من مراكش لبكين شعب واحد لا شعبين) نهجم لنفرقهم هاتفين (لا شرقية ولا غربية ـ وحدة حرة عربية) وبعد المظاهرة جاءني تنبيه من أمين فرع دمشق الأستاذ جمال أتاسي يلومني على طرح هذا الشعار (لا شرقية ولا غربية) وينبهني أنه لا يجوز طرحه في مثل هذا الاستقبال في المطار.

والحادث الهام الذي أثار الرأي العام في الوطن العربي ضد مخططات تركيا والدول الإمبريالية هو اغتيال العقيد عدنان المالكي[1] في ٢٢ نيسان ١٩٥٥. وقد كان معروفاً باتجاهاته المعادية للإمبريالية وبمواقفه ضد الأحلاف العسكرية وكان القاتل من أعضاء الحزب القومي السوري الاجتماعي. وقد امتدت خيوط المؤامرة إلى السفارة الأمريكية في دمشق وكان القتل يهدف لتحقيق انقلاب عسكري جديد والقضاء على النظام البرلماني في دمشق.

وفي ١٨ آب ١٩٥٥ انتخب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية فأعلن للصحف أنه لا يؤيد الفكرة فكرة الانضمام لأي حلف [2] ولا يعتبر إقامة الأحلاف مع الدول الغربية ضرورة ملحة ـ وفي أيلول ١٩٥٥ شكل ممثل المستقلين السيد سعيد الغزة الوزارة وتواكب مع شكري القوتلي ضد الأحلاف الإمبريالية ومع توثيق علاقات الصداقة مع مصر والمملكة العربية السعودية كما أعلن رئيس الحكومة أنه سيتابع المباحثات لعقد اتحاد ثلاثي (سورية ـ مصر ـ السعودية) ليصبح أساساً للاتحاد العربي العام وفي ١٢ آذار ١٩٥٦ عقد ممثلو الدول الثلاث اجتماعاً في القاهرة بحثوا فيه تعزيز التضامن العربي ـ وقرروا تقديم المساعدة للأردن لتعزيز نضالها ضد الإمبريالية[3].

١- باترك سيل ص ٣٣١.

٢- بيير بوداغوف ص ٩٧.

٣- (رئيس الوزراء ووزير الخارجية سعيد الغزي مستقل). الداخلية (عبد الحسيب رسلان مستقل) وزير الدولة للخط الحجازي (حسن الأطرش مستقل) وزير الأوقاف (اسعد هارون مستقل) وزير التربية (مأمون الكزبري مستقل) وزير الاقتصاد (أنطاكي الشعب) وزير الزراعة (عبد الوهاب بصوص الشعب) وزير الصحة (بدري عبود).

obeikandi.com

سقوط وزارة سعيد الغزي ١٩٥٦

في هذا العام ١٩٥٦ انتسبت إلى جامعة دمشق كلية العلوم وكنت أدرس للحصول على شهادة عالية في العوم الطبيعية والكيميائية والفيزيائية ـ واعتباراً من النصف الثاني للخمسينيات، استمر النضال وتأجج في سورية، بفضل الصحافة الحرة والنظام البرلماني آنذاك حيث كثرت الأحزاب والصحف في دمشق وأكثر المحافظات، وازداد الوعي السياسي والقومي، خاصة بين المثقفين. فأصبحت جامعة دمشق منذ سنة ١٩٥٦ ـ حتى سنة ١٩٦٠ كأنها ثكنة عربية يتصدى طلابها ومدرسوها للدفاع عن القضايا العربية والقومية بصورة خاصة فلو قرؤوا عن ظلامة استعمارية أو حادثة اجتماعية أو سياسية في مصر أو في اليمن أو المغرب أو أي نقطة من أراضي الوطن العربي، وحتى أي حادثة إنسانية، صغيرة كانت أو كبيرة، يتصدون لها بالمظاهرات والكتابة في الصحف والمجلات بالرغم من المقاومة الشديدة، والإهانات والسجون التي كانوا يتعرضون لها أحياناً لقاء هذا التصدي، وكانت هناك أحزاب جماهيرية تسيطر أحياناً على الشارع، فقد كان حزب البعث العربي الاشتراكي في الطليعة، لالتزامه بقضايا الجماهير، وبكافة القضايا القومية والإنسانية، والطروح التقدمية التي كانت مناشيره والصحف الموالية له تنشرها على الجماهير بين الفترة والأخرى. أضف إلى ذلك الحزب الشيوعي السوري الذي كان يدافع خاصة عن قضايا العمال، فيهاجم الرأسمالية لا ينافسه بذلك إلا حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي انتشر بين الكادحين من جميع الشرائح الاجتماعية خاصة الجنود والطلاب..

وفي ٣ حزيران سنة ١٩٥٦ بينما كنا نستعد للامتحان في مكتبة الجامعة البلورية، حيث كان يسود الصمت والهدوء، وتكاد تشعر أن الأنفاس مقطوعة للانهماك بالدراسة والمراجعة.. ولولا حركة الدخول والخروج من وإلى المكتبة، وحركة الأقلام التي تكتب وتلخص، لخيل إليك أنك بين مئات التماثيل أو الدمى الجالسة على الكراسي برزانة تتابع بعيونها الأسطر والكلمات في الكتب المفتوحة والدفاتر المرتبة.. في هذا الجو الهادئ الصامت، وقف طالب مغربي إلى جانب الباب الرئيسي للمكتبة من الداخل، ليقطع أو يخترق السكون بصوته الجهوري المتقطع:

أيها الزملاء معذرة!! معذرة!! هذه سوريا قلب العروبة النابض، تموّن الجيش الفرنسي الذي يبيد العرب في الجزائر، بقمح حوران وحلب والجزيرة.. وألقى بجريدة الرأي العام التي تنشر الخبر على طاولة أمامه، ليقرأ فيها الزملاء الطلاب، نبأ الفضيحة القومية التي تهز مشاعرهم وعاد الصمت والهدوء بعد ذلك إلى قاعة المكتبة، إلا أن بعض الطلاب والطالبات، الذين أسرعوا بالتغاريد يقرؤون النبأ بالجريدة الواحد تلو الآخر وقد قرأت بنفسي عنواناً صغيراً في زاوية الجريدة هو (بيع القمح السوري لفرنسا لتموين جيشها في الجزائر)... تحته بعض التفاصيل عن الصفقة مع وزارة الاقتصاد السورية.

ثم تركت الجريدة لغيري يقرؤها، ومشيت نحو الباب الرئيسي، كما فعل بعض الزملاء قبلي... وبعد دقائق كنا نجتمع خارج الباب، حوالي عشرين طالباً وطالبة، كلهم من البعثيين، ننظر إلى الزملاء المنهمكين بالدراسة في الداخل، نستجدي منهم التوقف دقائق عن القراءة للتداول والمشاورة، وهم يتذمرون ويلعنون.. لكن فكرهم في الكتاب الذي تركوه مفتوحاً على الطاولة، لأن الامتحان النهائي على الأبواب. والأكثر منهم انسحب من بيننا، وعاد إلى كتابه المفتوح بعد أن بلغنا مشاعره.. وصعوبة ضياع حصيلة عام دراسي بسبب تصرف وزارة الاقتصاد... وأخيراً صمدنا خارج قاعة المكتبة حوالي عشرين طالباً، كلهم من البعثيين تقريباً، وربما خجلنا أن نعود مثل زملائنا للكتاب المفتوح، دون أي عمل ضد هذه الخيانة القومية كما كنا نعتبرها..

كيف سنعود ونسكت، ونحن بنظر كافة الطلاب وبنظر أنفسنا، أعضاء حزب البعث العربي القومي، حزب الجماهير والأمة العربية من المحيط إلى الخليج، بل واخجلتاه لرفاقنا الذين تركونا وعادوا للدراسة.. وما هي إلا دقائق حتى كنا مجموعة العشرين معاً في طريقنا إلى خارج الجامعة، نسير باتجاه وزارة الاقتصاد في المرجة، نناقش ونتناشط بالحديث، ويصرخ بعضنا بوجه بعض ونقرأ الصحف بالطريق لنتأكد من الخبر بصحف أخرى. وقد لاحظنا الخبر مكتوباً بحروف كبيرة حمراء بجريدة الصرخة. ولكن ماذا باستطاعتنا أن نفعل (عشرون طالباً. عشرون فقط؟؟؟ أذكر منهم: كمال رزق، فايز قنديل، نمر اسكندراني، جورج خرسا، علي نصر، فاتح الجندي..

obeikandi.com

توقفنا قليلاً في الجانب الغربي من المرجة، لنقرر. والكل منا مقتنع بأن القضية يجب أن تكبر... وتكبر.. ولكن كيف!!؟؟ ونحن لا نتجاوز العشرين..؟ لا نشكل جمهوراً كبيراً، ولا نشكل مظاهرة إذا لزم الأمر، واقترح أكثرنا مقابلة وزير الاقتصاد.. ولكن المقابلة لا تكبر القضية بل ربما تصغرها. وكنت مع الرأي الذي اقترح ضرب وزير الاقتصاد في مكتبه في الوزارة، وهذا أفضل سبيل لتكبير القضية لتأخذ دورها وبعدها الوطني والقومي الصحيح...!! وما كدنا نصعد الدرج الجنوبي لوزارة الاقتصاد حتى كنا نهتف للإثارة هتافات تثير الوزير، مثل يسقط الوزير الفرنسي... ويردد الجميع (يسقط الوزير الفرنسي في الوزارة السورية). ودخلنا متحمسين إلى مكتب الوزير في الطابق الثالث ونحن نردد هذا الهتاف المثير بصوت مرتفع وندفع بطريقنا البواب والشرطي، وكل من تصدى لنا، لنجد مكتب الوزير خالياً، إلا من الطاولة والكنبات الفخمة والهواتف كانت ترن أحياناً كل اثنين معاً.. لكن أصواتنا طغت على المبنى والمناطق المجاورة، خاصة بعد أن خرجنا إلى الشرفات التي تطل على ساحة المرجة، وتجمع الناس من المارة، وزملاؤنا في ساحة المرجة يرددون هتافاتنا من الساحة ونحن نجاوبهم بهتافاتنا تشق عنان السماء من الشرفة، وما زلت أذكر صوت الرفيق فايز قنديل وهو محمول على الأكتاف يردد بأعلى صوته (قول الشاعر):

وظلـــم ذوي القربـــى أشـــد مـــضاضة

علـــى المـــرء مـــن وقـــع الحـــسام المهنـــد

طوقتنا الشرطة المدنية، ومنعت الناس من الوصول إلينا في وزارة الاقتصاد، وجاءنا قادة المفرزات يستوضحون الخبر.. فنخبرهم بالواقعة السياسية، ونعطيهم الجريدة، يقرؤونها في بعض الأحيان، ونستمر بالصراخ والهتاف، كأننا في معركة يجب أن نكسبها بالأصوات العالية ولم تتدخل الشرطة المدنية بالمظاهرة..

وأسرع بعض رفاقنا إلى الجامعة ليذيع على الطلاب نبأ تطويقنا في المرجة من قبل الشرطة فهرع كل من في الجامعة والمارة من الناس لنجد أنفسنا وسط بحر من البشر، كلهم يهتفون ضد الحكومة.. وبعد قليل وصلت مفرزات الشرطة العسكرية، وطلع إلينا بمكتب الوزير، السيد عدنان حمدون قائد مفرزات الشرطة العسكرية، وكان

obeikandl.com

أكثرنا يعرفه جيداً لما كان ملازماً بعثياً عندنا في السويداء مع مفرزاته يرافق مظاهرتنا حتى تكون ناجحة.. فبادرنا قائلاً: أنتم هنا؟ فأجبنا: (نعم وإليك القضية في الصحف... فقرأها وشجعنا على الاستمرار وقال: لا يوجد وزير ولا مسؤول يبلغنا بالتدخل.. لذلك فاتخذوا راحتكم...!!

وبعد قليل جاءنا قائد شرطة دمشق.. السيد (ز ـ د)[1] ليقرأ علينا قراراً مطبوعاً صدر عن مجلس الوزراء الذي اجتمع في السرايا غرب المرجة، ينص على منع تصدير الحبوب للجزائر.. وقد قامت الاحتجاجات من الزملاء على هذا القرار، وأكثرهم حقوقيون على صيغة القرار، لأنه لا يوجد دولة اسمها الجزائر تستورد من عندنا القمح كما أن كلمة يمنع في القرار لا تكفي ـ لأننا نريد وقف الشحنات في اللاذقية قبل أن تشحنها البواخر.. لذلك طلبنا (وقف تصدير الحبوب لفرنسا فوراً).. فقال لنا: مجلس الوزراء مجتمع قريب منكم وباستطاعة نفر منكم أن يذهب معنا إلى حيث الاجتماع في السرايا وطلب صيغة القرار كما تشاؤون... فنزلنا من وزارة الاقتصاد، أربعة طلاب نشق طريقنا بين الجماهير الغاضبة وأصواتها المجلجلة، واتجهنا نحو السرايا وما كدنا نخرج من طوق الشرطة حتى تراكض إلينا مراسلو الصحف ووكالات الأنباء يسيرون معنا ويستوضحون الخبر ونحن نخبرهم مع مسيرنا حتى بلغنا مجلس الوزراء..

الأستاذ سعيد الغزي على مكتبه، الوزراء على الكنبات حوله، والنقاش فاتر حتى دخولنا، بدأ في الكلام على ما أذكر الرفيق كمال رزق قائلاً لرئيس مجلس الوزراء وعلى مسمع الجميع: سيادة رئيس مجلس الوزراء المحترم إن تموين سوريا للجيش الفرنسي الذي يبيد العرب في الجزائر خيانة قومية ـ وقد أضفت وأنا في جانبه: نريد وقف شحنات القمح في اللاذقية فوراً.. وهنا احتج وزير العدل وهو مدرس في الجامعة.. على كلمة خيانة قومية قائلاً:

يجب أن تعرفوا أنفسكم أمام من تتكلمون هنا..؟؟ (أي أننا نتكلم أمام أساتذتنا)..، وقد كان أكثر الوزراء مدرسين في الجامعة ـ فأجبناه: إننا هنا أمام مشكلة وطنية وقومية وكلنا مواطنون أمامها الطالب كالأستاذ يتحمل المسؤولية فرد

١- (ز ـ د) زكي الدرعوزي قائد شرطة دمشق.

obeikandi.com

وزير الاقتصاد وكان يتمشى في القاعة ذهاباً وإياباً... منرفزاً كأنه غير قادر على الجلوس. فقال: سيادة الرئيس:

وزارة تهان من قبل الطلاب بهذا الشكل وغداً ستكتب الصحف أن الطلاب احتلوا مكاتب وزارة الاقتصاد.. إنني أستقيل من هذه الوزارة ـ ثم تكلم عدد من الطلاب وبالمقابل أكثر الوزراء وكانت مناقشات حادة في الموضوع. وكان رئيس الوزراء حكيماً يسمع بإصغاء كلام الطلاب وردود الوزراء، حتى تفهم القضية وكل ما طرحناه على مجلس الوزراء ـ فطلب من قائد الشرطة أن يتقدم من الهاتف في مكتبه: ويوقف شحنات الحبوب في اللاذقية كما طلبنا، وكتب قراراً بخط يده أمام الجميع يوقف تصدير الحبوب لفرنسا أرسله إلى الآلة الكاتبة، أعقبه بقرار آخر ينص على استقالة الوزارة وخرجنا من مجلس الوزراء نهتف ونغني وبيدنا قرار وقف تصدير الحبوب لفرنسا.. وكأننا حققنا نصراً كبيراً على العدو في ساحة المعركة.

طالما دخلت بنقل الحوادث السياسية من مذكراتي الجامعية في الخمسينيات سأتابع نقل بعض الوقائع الهامة...

العام الدراسي ١٩٥٨ـ١٩٥٩ سنتي الأخيرة في كلية العلوم في جامعة دمشق كان في القطر العربي السوري نشاط سياسي منقطع النظير، حيث قرر التجمع البرلماني في دمشق المؤلف من عدة أحزاب مع أكثر المستقلين، تنفيذ قرار الوحدة مع القطر المصري كان على رأس أحزاب التجمع التي دعت إلى الوحدة مع مصر (الأحزاب المعتدلة) وهي: حزب الشعب ـ الحزب الوطني ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ بينما كان على رأس المعارضة (الأحزاب المتطرفة في أقصى اليسار الشيوعيون، وفي أقصى اليمين الأخوان المسلمين)...

كانت القيادة السياسية لحزب البعث العرب الاشتراكي في دمشق (ثلاثية) تتألف من الأساتذة: أكرم الحوراني ـ ميشيل عفلق ـ صلاح الدين البيطار. وبعد عدة اجتماعات مع القيادة السياسية في مصر خاصة مع جمال عبد الناصر، الذي اشترط حل جميع الأحزاب في القطر العربي السوري لتنفيذ الوحدة مع مصر.. وقد أجابت القيادة السياسية على لسان الأستاذ صلاح الدين البيطار بما يلي:

الوحدة مطلب جماهيري قومي فوق كل المطالب، لنلقي بأنفسنا في هذا اليم

obeikandi.com

الوحدوي المطلوب، ولنتكل على الله، ونستجيب لمطلب عبد الناصر..

إن قرار حل الأحزاب في القطر العربي السوري، كان هيناً ليناً على الأحزاب التقليدية التي بلغت سن الشيخوخة، مثل حزب الشعب والحزب الوطني، أما بالنسبة لحزب البعث العربي الفتي المتحمس لتحقيق الوحدة العربية، فقد لقي هذا القرار معارضة قوية من قواعد الحزب، التي لم تفكر بمناصب في السلطة أو استلام الحكم.. وكان يؤمن حتى ذلك الوقت، أن مهمة هذا الجيل: شق الطريق لا تعبيدها، وقلع الأشواك لا غرس الرياحين.. كما كان يتردد على لسان أمينه العام الأستاذ ميشيل عفلق وفي أكثر شعارات الحزب ومناشيره.. وعلى أثر ذلك دعت شعبة الحزب في الجامعة القيادة السياسية للاجتماع معها لمناقشة قرار حل الحزب.. حيث كان جميع الأعضاء في شعبة الحزب في الجامعة معارضين لقرار حل الحزب..

وكان الاجتماع فوراً في مكتب الحزب في عرنوس.. بحضور كافة الأعضاء تقريباً يعتبرون الحزب هو الأداة الهامة والرئيسة، لحماية مكاسب الجماهير وتطلعاتها الوحدوية التقدمية.. وقد اشتد النقاش واحتدم كثيراً بين الأعضاء العاملين والقيادة السياسية للحزب وكان الأستاذ أكرم الحوراني بشكل خاص يأخذ على عاتقه إنجاح هذه الخطوة الوحدوية واستمرارها، بالرغم من حل الأحزاب في القطر العربي السوري.

وقد كنت واقفاً بين الطلاب قرب الباب مقابل منبر القيادة السياسية في القاعة التي ضاقت بنا في مكتب الحزب بعرنوس فتوجهت بكلامي للأستاذ ميشيل قائلاً:

قبل أربعة أشهر كنت بيننا موجهاً في هذه القاعة فقلت لنا: إذا أغمضنا عيوننا ونحن على هذه الحال من التفرقة والتقسيم في العالم العربي، ثم فتحناها فوجدنا العالم العربي موحداً!! فلا نرضى بهذه الوحدة التي لم تأت عن طريق النضال والوعي والإيمان الجماهيري، فمثل هذه الوحدة زائفة ولا تستمر ولا تثبت فالوحدة الصحيحة الثابتة يجب أن تحصل عن طريق النضال والوعي الجماهيري والإيمان والتخطيط الواعي... أما هذه الوحدة التي نحن بصدد حل الحزب لتنفيذها مع مصر، تأتي بدافع جماهيري قوي واعي جيداً في القطر العربي السوري، أما بالنسبة لمصر فنحن نعمل وحدة مع مجموعة عسكرية تفكيرها الاجتماعي وحسها القومي العربي محدود، قبل شهور أعدمت

obeikandi.com

عـدداً مـن قـادة الفكـر في مـصر ــ وخرجنـا بتوجيهـاتكم الحـزب والجمـاهير هنـا بمظاهرات ضدهم نهتف: تسقط حكومة الصاغات والبكابشة ويعيش الفكر الحر في مصر. والسؤال هو: ما هي الضمانة لاستمرار هذه الوحدة وثباتها مع هذه الفئة العسكرية المتسلطة في مصر...؟ فأغمض الأستاذ ميشيل عينيه قليلاً ثم فتحهما وقال: الضمانة هي جمال عبد الناصر..

فطفرت دموعي تنسكب بغزارة أمامي على الأرض عند سماع هذا الجواب وتسمرت واقفاً في مكاني دون أن أنبس ببنت شفة.. لحظات قطعت النقاش، وقطع الطلاب وخرجنا جميعاً من المكتب وأنا استند عليهم بالتناوب حتى غرفتي في الشعلان وهم يواسون دموعي، فلا أنا نفسي ولا حتى واحدنا كان يعرف السبب..

وفي اليوم التالي فاجأني الشاعر محمود صبح بقصيدة عنوانها (إلى دموع حسن نصر) يرثي فيها حل الحزب ويتوجس من المستقبل المجهول للشباب والنضال في الوطن العربي. كما جاء الدكتور شريف حديفي إلى السويداء بعد عشرين عاماً يفتش عني ليقول لي: أما زلت تبكي على قرار حل الحزب في مكتب عرنوس بدمشق...؟؟؟

قيام الوحدة السورية المصرية

وفي أواخر سنة ١٩٥٧ برز على الساحة السياسية في دمشق ثلاثة تيارات تتصارع بعنف للسيطرة على الوضع:

١ـ التيار الشيوعي القومي سيطر على الكثير من النقابات والاتحادات العمالية، واتحاد الكتاب العرب وتمكن من إثارة موجة من الاضطرابات العمالية بهدف إسقاط حكومة صبري العسلي لصالح حليفهم خالد العظم وعفيف البزري رئيس الأركان وقد انحاز إلى الشيوعيين في مجريات الحركة السياسية السورية.

٢ـ التيار القومي العربي ـ البعثيون والوطنيون والسراج الذي أصبح في مقدمة القوى الفاعلة في الجيش بعدما انضم إليه رفاق الدورة الواحدة، الذين انفصلوا عن تكتل الضباط الشوام[1].

١- أي من الشام (دمشق).

obeikandi.com

٣ـ التيار الناصري الجديد ـ حيث بلغ النشاط المصري ذروته على الساحة فراح السراج والقوميون العرب يستثمرون هذا النشاط إلى أبعد الحدود.

وقد تصور البعثيون وعبد الحميد السراج والقوميون العرب، أن البلاد في خطر لأنها تتعرض لتهديدات خارجية ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ويتولى تنفيذها حكام وملوك الأقطار العربية المجاورة[1] إضافة إلى تركيا.

والوضع الداخلي المتدهور بالمد الشيوعي القومي الذي يتمتع بدعم خالد العظم وعفيف البزري. لذلك اقتنع البعثيون قناعة تامة بأن لا سبيل للخلاص سوى الاتجاه نحو مصر وإقامة اتحاد معها لإنقاذ البلاد من هذه الأخطار المحدقة بها...

وقد كتب سامي جمعة في كتابه أوراق من دفتر الوطن ص ٢٨٠ـ٢٨١

توجه إلى القاهرة وفد عسكري سوري بتاريخ ١٩٥٨/١/١٢ برئاسة اللواء عفيف البزري وعضوية كل من المقدمين ـ مصطفى حمدون وأحمد عبد الكريم ـ أحمد هنيدي ـ طعمة العودة الله ـ حسين حدي ـ عبد الغني قنوت ـ محمد النسر ـ ياسين فرجاني ـ عبد الله جسومة ـ جادو عز الدين ـ مصطفى رام حمدان ـ أكرم الديري ـ وجمال الصوفي ـ وعندما علم الرئيس شكري القوتلي بسفر الوفد العسكري إلى القاهرة، عقد جلسة لمجلس الوزراء، تقرر فيها إرسال الأستاذ صلاح الدين البيطار وزير الخارجية للانضمام إلى الوفد العسكري، وعند اجتماع الوفد مع الرئيس عبد الناصر، تقدم بطلب الاتحاد بين سورية ومصر.

وكان الطرح الذي طالب فيه البزري أن يكون الاتحاد فيدرالياً كحد أقصى وفقاً لرغبة الرئيس شكري القوتلي وخالد العظم والحزب الشيوعي حسب موافقة أعضاء البرلمان السوري والمصري في شهر تشرين الأول ١٩٥٧. فرفض عبد الناصر هذا الطرح رفضاً مطلقاً، وأبدى عدم استعداده لتحمل مسؤولية الوضع المضطرب في سورية، لكنه في خاتمة المطاف، قبل أن تكون الوحدة اندماجية وبشروط...

وقد استمرت المباحثات حوالي أسبوع، عاد بعدها الوفد السوري إلى دمشق حاملاً

١- سامي جمعة ص ٢٨٠.

obeikandl.com

مشروع الوحدة على النحو الذي ارتآه الرئيس عبد الناصر للحصول على الموافقة عليه، بينما يكون قد تم إنجاز مشروع الوحدة المؤقت في القاهرة..

كانت شروط عبد الناصر للموافقة على الوحدة الاندماجية ما يلي:

١ـ وحدة اندماجية تامة مع حكم رئاسي.

٢ـ حل الأحزاب جميعها في سورية.

٣ـ حل مجلس النواب السوري.

٤ـ ابتعاد العسكريين السوريين عن السياسة، خاصة العسكريين الذين شاركوا في الوفد إلى القاهرة.

وفي الأول من شباط ١٩٥٨ وبحضور الرئيس القوتلي وعبد الناصر ألقى السيد صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء السوري كلمة من على شرفة قصر القبة في القاهرة أعلن فيها الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة وسط هتاف الجماهير وتهليلها ـ وقد تضمن الدستور أن الجمهورية العربية المتحدة تتألف من إقليمين « الشمالي سورية والجنوبي مصر» ورئيس واحد، وجيش واحد وعلم واحد وتمثيل خارجي واحد...

وفي الخامس من شباط ١٩٥٨ عرض الرئيس عبد الناصر الدستور المؤقت لدولة الوحدة، على مجلس الأمة المصري، وفي التوقيت نفسه عرض الرئيس القوتلي صيغة الدستور على المجلس النيابي السوري وقد تمت الموافقة عليه في المجلس.

وسجل غياب السيد خالد بكداش عن حضور جلسة المجلس النيابي السوري، واعتراض النائبين صالح عقيل وهاني السباعي. وفي ١٩٥٨/٢/٢١ طرح الدستور المؤقت على الاستفتاء في كل من مصر وسورية، فتمت الموافقة عليه بأكثرية ساحقة، كما انتخب الرئيس عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة وفي ١٩٥٨/٣/٦ شكل الرئيس عبد الناصر أول حكومة في الجمهورية العربية المتحدة على النحو التالي:

نواب رئيس الجمهورية العربية المتحدة:

عبد اللطيف البغدادي ـ المشير عبد الحكيم عامر «عن الإقليم الجنوبي» ـ أكرم الحوراني ـ صبري العسلي «عن الإقليم الشمالي».

obeikandi.com

الوزارة المركزية: مقرها القاهرة تشكل من القطرين.

وزارتان قطريتان، إحداهما في القاهرة والثانية في دمشق.

الوزارة القطرية في دمشق:

عبد الحميد سراج وزيراً للداخلية.

عبد الوهاب حومد وزيراً للعدل.

أمين النفوري وزيراً للمواصلات.

أحمد عبد الكريم وزيراً للشؤون البلدية والقروية.

فاخر كيالي وزيراً للأشغال العامة والمواصلات.

حسن جبارة وزيراً للتخطيط.

خليل كلاس وزيراً للاقتصاد.

صلاح الدين البيطار وزير دولة.

ورفع اللواء عفيف البزري إلى رتبة فريق وعين قائداً للجيش الأول، ومقره الإقليم الشمالي وبعد تشكيل الحكومة المركزية ومقرها القاهرة، اختير لعضويتها من السوريين كل من:

حسن جبارة (وزيراً للمالية).

صلاح الدين البيطار (وزيراً للثقافة والإرشاد).

أمين النفوري (وزيراً للمواصلات).

أحمد عبد الكريم (وزيراً للشؤون البلدية والقروية)

فاخر الكيالي (وزيراً للاقتصاد).

بشير العظمة (وزيراً للصحة).

أكرم الحوراني (نائباً لرئيس الجمهورية).

obeikandl.com

وفي الوقت نفسه شكلت وزارة تنفيذية في سورية «الإقليم الشمالي» برئاسة نور الدين كحالة، وضم إليها العقيدين عبد الغني قنوت وطعمة العودة الله ورياض المالكي الذي شغل منصب وزير الإعلام.

قبل شهرين من تشكيل الحكومة المركزية التي كان الهدف منها تفعيل الاندماج بين القطرين جاءت محاولة لإنهاء، الحوراني سياسياً[1] فقد قام محسن أبو النور بزيارة سرية للسيد صبري العسلي، وأبلغه ان الرئيس عبد الناصر منزعج جداً من تحركات السيد أكرم الحوراني، الذي يطالب بالسيطرة على الإقليم الشمالي، ويطلب من الحوراني التعاون مع بعض الوزراء المعادين للبعث في حكومة الإقليم لتحجيم الحوراني وإيقافه عند حده، فكان رد العسلي، أنه لا يستطيع تنفيذ ذلك لأنه لم يتعود العمل في الظلام.

وقد جاء الرد على سلبية العسلي بشكل سريع جداً إذ أوعز الرئيس عبد الناصر للسيد عبد الحميد السراج بتوزيع الوثائق التي تم العثور عليها في وزارة الدفاع العراقية بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ على الصحف السورية والمصرية، وكانت هذه الوثائق التي أحضرها طلعت صدقي تتضمن لائحة بأسماء السياسيين والصحفيين السوريين، الذين تورطوا بقبض المبالغ المالية التي دفعها النظام العراقي، خلال فترة المؤامرات التي حيكت ضد القطر السوري وكان اسم صبري العسلي أحد هذه الأسماء.

وقد تألم المرحوم صبري العسلي واعتكف في بيته، وقد حاول عبد الناصر اتهام السراج بنشر الوثائق دون علمه لكن العسلي شعر أنه أصبح أسيراً لعبد الناصر فأصيب بالاكتئاب ولازم بيته حتى تقدم باستقالته[2].

في الثاني والعشرين ٢٢ شباط سنة ١٩٥٨ وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً، كانت طائرة الرئيس عبد الناصر تهبط في مطار دمشق. وكان في استقباله حشد كبير من المسؤولين في المطار. وقد تابع موكبه المسير من المطار حتى دار شكري القوتلي في شارع أبو رمانة، وهناك كان القوتلي وصبري العسلي والوزراء ولفيف من كبار الضباط يستقبلون الرئيس عبد الناصر ضمن هتافات الترحيب ودموع الفرح

١- سامي جمعة ص ٣٠١.

٢- سامي جمعة ص ٣٠٢.

obeikandi.com

وأصوات الابتهاج من الجماهير المحتشدة على طول شارع أبو رمانة دبكة وزغاريد وأغاني وهتافات قومية ووطنية تشق عنان السماء وطغى الحشد الجماهيري العفوي الذي احتشد كالسيل، من سفح قاسيون إلى بوابات قصر الضيافة جنوباً، ومن شارع النصر شرقاً، حتى طريق بيروت غرباً. وبعد انتقال الرئيس إلى قصر الضيافة ضمن مواكب الجماهير المحتشدة المتحمسة لرؤيته، ألقى من شرفة قصر الضيافة كلمة حيا فيها نضال الشعب السوري وقد حيته الجماهير وصفقت له بحرارة. وقد استمر طوفان الجماهير متحلقاً حول قصر الضيافة حوالي ثلاثة أيام بلياليها... في ١٩٥٨/٣/٦

التطور بعد قيام الوحدة مع مصر

أعلنت سوريا بعد قيام الوحدة عن اكتشاف مؤامرة كبيرة تخطط لعمليات عسكرية في شمال سوريا وجنوبها ستقوم يوم الاستفتاء على الدستور في ٢١ شباط ٥٨ بهدف إفشال الوحدة السورية المصرية.. كما وزعت منشورات ربما تكون كاذبة باسم «بيان الحزب الشيوعي» تدعو للنضال ضد الوحدة السورية المصرية.

وخططت الدول الغربية وأمريكا لاتحادات مختلفة مثل اتحاد الدول الإسلامية والاتحاد الهاشمي الأردني العراقي، لتقوم مقابل الاتحاد أو الوحدة السورية المصرية[1]. رحب الاتحاد السوفيتي انطلاقاً من مبادئه السياسية والتعايش السلمي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى بقيام الجمهورية العربية المتحدة، وأعرب مع صداقته للبلدين المتحدين عن تمنياته الصادقة لتطوير هذه العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة الجديدة.

أعلنت حكومة الاتحاد السوفييتي في ٢٢ شباط اعترافها بالجمهورية العربية المتحدة وحتى ٢٥ شباط اعترفت ٣٣ دولة بالجمهورية العربية المتحدة، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، وتركيا.

١- بيير بوداغوف ص ١٤٤.

obeikandi.com

التطور في سوريا في مرحلة الوحدة مع مصر

عندما صدر مرسوم الرئيس عبد الناصر حول حل جميع الأحزاب في آذار ١٩٥٨ كانت قيادة البعث السوري قد أعلنت حل نفسها قبل صدور المرسوم، ونقلت القيادة القومية إلى لبنان. وراحت تصدر يومياً جريدة الصحافة لسان حال الحزب، وأعلن عن حل نفسه كل من حزب الشعب، والحزب الوطني، والإخوان المسلمين، والتجمع الشعبي الاشتراكي. أما الحزب الشيوعي فقد رفض حل نفسه وانتقل إلى العمل السري[١]. وصدر مرسوم حول إعادة تنظيم الصحافة في القطر السوري، وتنازل أصحاب الصحف عن حق الإصدار مقابل تعويض نقدي مناسب. في أيلول ١٩٥٩ حلت في سوريا جميع المنظمات السياسية، والثقافية والاجتماعية، بما فيها مجلس أنصار السلم، ورابطة حماية الأمومة والطفولة، واتحاد الكتاب العرب والجمعية السورية للعلاقات الثقافية مع الاتحاد السوفيتي، وجمعية الصداقة الصينية السورية وغيرها.

وفي تشرين الثاني ١٩٥٩ صدر مرسوم حول إنشاء الاتحاد القومي في القطر العربي السوري عوضاً عن الأحزاب المحلولة، واقتضى المرسوم إجراء انتخابات مجالس محلية للاتحاد القومي، والتي كان يجب أن تتم على عدة مراحل.

الوحـدة

الوحدة ذلك الحلم الجميل الذي دغدغ أحلام جميع أبناء الشعب العربي منذ زمن طويل أكبر بكثير من الذين صنعوها والذين ارتبط بهم أمر ترجمتها وتحويلها إلى واقع تشق جذوره أعماق أعماق الأرض والصدور. وكان أكثر هؤلاء من السوريين والمصريين ينقصهم الصدق والطهارة الوطنية، التي كان من شأنها أن تحكم تصرفاتهم وتكبح أنانيتهم ومصالحهم الضيقة. وعلى ذلك فهم وحدهم من شحذ سكاكين وسيوف أدت لذبح الوحدة وتقطيع أوصالها، وجعل العمالة والخيانة اجتهاداً مشروعاً[٢]. وكمشاهدين

١- نفس المرجع ص ١٤٦ بيير بوداغوف.

٢- سامي جمعة ص ٢٩٦.

obeikandl.com

واكبنا تلك الحقبة من تاريخ الوطن يمكن أن نستعرض بعض ما شعرنا به من الأخطاء المقصودة وغير المقصودة التي اقترفها بحق الوحدة كل من الطرفين السوري والمصري، مسببين جريمة الانفصال الأسود المشؤوم يوم ٢٨ أيلول ١٩٦١.

عبد الحميد السراج. الذي ارتبط بوحدة المصير مع الضباط البعثيين الذين قدموا له الحماية والدعم خاصة بعد عصيان بعض الضباط وقيامهم ضده، خاف من مزاحمتهم مع أنهم كانوا مثالاً للنزاهة والاستقامة والمحافظة على الوحدة والتضحية في سبيلها. فقد أبعدهم السراج الواحد تلو الآخر وبدلهم ببعض الانتهازيين. وقد سلم القسم السياسي في المخابرات العامة إلى رجله الأول عبد الوهاب الخطيب، وانطلق بشخصه كالقطار الجامح ليجتاح في طريقه كل ما يعترضه ويصادفه، وبالوقت نفسه كان يحرص على نسف الجسور التي يخلفها وراءه، وقبلته القاهرة، ولا شيء غير القاهرة[1].

كان هذا النهج الذي اتبعه السراج أحد السيوف التي شحذت وسلمت لمن قاموا بذبح الوحدة، وللإنصاف أقول أن ٧٠٪ مما فعله السراج أو نسب إليه، كان مما اقترفته الزمرة التي أقامها لمواجهة البعثيين في المكتب الخاص. وقد استمرت هذه الأزمة بين البعثيين والسراج حتى وقوع الانفصال..

أما **السيد أكرم الحوراني**[2] فقد توهم أن الرئيس عبد الناصر سوف يوليه الأمور في سورية، وقد بقي هذا الحلم يدغدغ الحوراني إلى ما قبل تشكيل الحكومة المركزية نهاية ١٩٥٨ في القاهرة «وسمي الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية» وخلال معايشته لهذا الوهم، وأثناء كل اجتماع له مع عبد الناصر، كان الحوراني يحرص على تجريح صلاح البيطار وميشيل عفلق، وكان يقول أنه لولا ضرورة النضال ضد حكم الشيشكلي لما وافق على دمج حزبه مع حزب البعث العربي، أما عن عفلق فكان يقول إن الدمشقيين يكرهونه، خاصة بعد رسالته من السجن إلى الزعيم حسني الزعيم، يؤيده ويسترحمه طالباً إخلاء سبيله متعهداً بالابتعاد عن أي عمل سياسي.

١- نفس المرجع، ص ٢٩٨.

٢- نفس المرجع، ص ٣٠٠.

obeikandi.com

الأسلوب نفسه كان يتبعه صلاح البيطار لدى اجتماعه بعبد الناصر، فكان يجرح الحوراني وينعته بالمتعطش للسلطة، وأنه بدأ حياته السياسية عضواً في الحزب السوري القومي. وقد ذكرت سابقاً كيف جرت محاولة لإنهاء الحوراني سياسياً. عن طريق صبري العلي، وقد فشلت المحاولة.

هجمة المخابرات المصرية

هجمة المخابرات المصرية على الإقليم الشمالي خاصة بعد ١٩٥٨ كان لها الأثر الأكبر على تدمير الوحدة السورية المصرية وتقويض أركانها، خاصة وأن الوعي القومي العربي وحتى الوعي الوطني كان محدوداً عند أكثر المصريين الذين توافدوا إلى الإقليم الشمالي خاصة بعد إقامة الوحدة، أكثرهم كان يأتي بعقلية المستعمر. والحقيقة أن عناصر المخابرات المصرية الذين ارتبطوا بالسفارة المصرية، وبالسيد محمود رياض وعدلي حشّاد المدرس المنتدب في ثانويات دمشق، والعقيد في المخابرات المصرية عبد الرحيم عزت. وقد أنشأوا شبكات خاصة لهم «أكثر من عشرين شبكة» كلها مؤلفة من العناصر المحلية، ومن مختلف طبقات المجتمع التي تبدأ من وزير أو نائب سابق أو صحفي بارز، نزولاً إلى أدنى الطبقات المهنية والاجتماعية. ومن بين عناصر تلك الشبكات كان لهم علاقة كبيرة بكثير من المؤامرات التي حيكت ضد الوحدة وضد القومية العربية طيلة السنوت الأربع التي سبقت الوحدة. وكان منهم من يعمل في تلك الشبكات متطوعاً أو أجيراً، إلا أنهم قد جمعهم هدف واحد هو الانتقام من البعثيين والقوميين الوطنيين العرب، وأكثر من ذلك كان يستهدف الوحدة ذاتها. وفي تلك الفترة بعد الوحدة بقليل وصل إلى دمشق الصاغ كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، ووزير التربية المركزي في مصر، حيث حاضر في مدرج جامعة دمشق، أمام المئات من طلبة الجامعة السورية، واختتم محاضرته بالقول: إن القومية العربية بدعة، وكل بدعة كفر، وكل مبتدع في النار، ضارباً بعرض الحائط كل الشعارات التي قامت على أساسها الجمهورية العربية المتحدة[1]. وعندما انتشر المدرسون

١- سامي جمعة، ص ٣٠٥.

obeikandl.com

والمعلمون المصريون في المحافظات السورية كافة، بدأ أولئك وهؤلاء بممارسة الفوقية على زملائهم السوريين، ولم يتورع الأستاذ محمود رياض عن فرض التبعية على أعضاء الحكومة التنفيذية في دمشق وإملاء إرادته عليهم بإجابة صارخة. وما انقضى عام ١٩٥٨ حتى تم تسريح عدد من الضباط الذين اتهموا بأنهم يساريون وتم إبعاد بعض الضباط البعثيين بالإحالة إلى التقاعد أو التعيين بوظائف مدنية كما نقل الكثير منهم إلى الإقليم الجنوبي. وقد زادت البلاوي بعد أن توافدت إلى القطر أسراب من النشالين والباعة الجوالين والحشاشين، وازدهرت في دمشق سوق المخدرات، خاصة مادتي الأفيون والحشيش بشكل لم يسبق له مثيل. أضف إلى ذلك القرار بضرب الحزب الشيوعي في الإقليم الشمالي بعد خطاب الرئيس في إحدى المناسبات في ١٩٥٨/١٢/٢٣ في مدينة بور سعيد، هاجم فيه الشيوعية بحرارة، وخص الحزب الشيوعي السوري بالاتهام بالعمالة والتآمر. واعتباراً من ١٩٥٨/١٢/٣٠ بدأ اعتقال القادة الشيوعيين وكثير من أعضاء الحزب الشيوعي وإيداعهم في السجون.

من أراد معرفة المزيد من معاناة الشيوعيين في تلك الفترة، خاصة قضية رفيق رضا الفاكهاني «رأفت» وقضية المرحوم «فرج الله الحلو» فعليه الرجوع لكتاب السيد سامي جمعة أوراق من دفتر الوطن ص ٣٣٠ـ٣٣٨.

وكان السيد محمود رياض مستشار الرئيس عبد الناصر في دمشق يزاول مهامه فيها كما كان المندوب السامي الفرنسي يزاولها فيها في عهد الانتداب الفرنسي[١]. من اختيار الوزراء إلى تسريح الضباط والقوميين العرب والوطنيين وكثير من مثل ذلك.

استقالة الحوراني ووزراء البعث

تشكلت الوزارة المركزية في ١٩٥٨/٨/٧ بهدف إبعاد العناصر السياسية والعسكرية الفاعلة من دمشق إلى القاهرة.. واستغلال البعثيين لمواجهة الشيوعيين.. أما الهدف المعلن فكان «استكمال الأسس العملية للوحدة»[٢]. من خلال تكريسها كسلطة

١- سامي جمعة، ص ٣٤٢.

٢- سامي جمعة، ص ٣٤٤.

obeikandl.com

تنفيذية وتشريعية عليا، مسؤولة عن متابعة وتنفيذ القرارات السياسية التي تضعها. وفي هذه الظروف بعثت المخابرات المصرية والأجهزة التابعة لها مطلقة اليد في دمشق.

كنت سنة ١٩٦٠ مدرساً للعلوم في ثانوية الفرات بدير الزور وقد تم نقلي في وسط العام الدراسي إلى الرقة قبل أن تصرف رواتبي أو استلم أي بارة، وعندما رفضت لأن الديون علي كثيرة في دير الزور، وتكلمت مع مدير التربية، طلب محاسب التربية وكلفه تسديد كافة ديوني وطلب مني تنفيذ النقل لأنه لا يستطيع مخالفة قرار رئيس المكتب الخاص.

بدأت التناقضات وأساليب اللف والدوران تظهر بين الوزارة المركزية والوزارة التنفيذية من جهة، وبين الوزراء السوريين المشاركين بالوزارتين أنفسهم، واستغلال التناقضات القائمة بينهم وتضخيمها واستثمارها، من قبل المصريين، وقد ساعد في ذلك عدم وجود مقر رسمي للوزارتين في القاهرة وعدم وجود جهاز إداري أو فني لأي وزارة. فكان وضع الوزراء السوريين في القاهرة أشبه بوضع اللاجئين السياسيين، وقد أصبحوا فيما بعد مثاراً للتندر والتنكيت في مصر[1]. وبعد ستة أشهر توفر المقر للوزارة المركزية في فندق هيليو بوليس. في حين تم إطلاق يد الوزراء المصريين في الحكومة المركزية للبت بأي موضوع، سواء كان تابعاً لاختصاص وزارتهم أو لا. أما اختصاص الوزراء السوريين فقد بقي دون تحديد طيلة فترة الوحدة حتى الانفصال، أي أنهم جلسوا على كرسي وزارية في القاهرة دون أي عمل، وقد صدف أني رجعت من مؤتمر الطلاب العالمي في يوغسلافيا في هذه الفترة وعند وصولنا إلى القاهرة قررت مع الرفيق عادل النعيسي زيارة الأستاذ صلاح الدين البيطار في مقره المخصص بالوزارة، وقد وصلنا إلى مكتبه حوالي العاشرة، واستمرينا نتحدث معه حتى الثانية عشرة، ولم يدخل إلى مكتبه أي مراجع ولم يتصل به أي وزير أو صاحب علاقة، وقد قال لنا هذا عملنا هنا في القاهرة نجلس على الكرسي المخصص في مكتبنا طيلة فترة الدوام دون أي عمل أو اتصال أو مراجعة أي مهمة إلا أن نقدم للزائر مثلكم ونشرب معه فنجان قهوة. فشربنا القهوة معه في مكتبه وانصرفنا قلقين بائسين من هذا الوضع الشاذ الذي ما كنا نتوقعه.

١- سامي جمعة، ص ٣٤٥.

obeikandl.com

الانقلاب الانفصالي سنة ١٩٦١

بعد ما حصل من إبعاد الكثير من كبار السياسيين في القطر العربي السوري وتهشيم وإبعاد الضباط القوميين والبعثيين بصورة خاصة إلى مصر أو البلدان الخارجية وتسريح الكثيرين من الضباط وصف الضباط من الجيش وأصبحت أكثر الأمور العسكرية والمدنية في الإقليم الشمالي تحت سيطرة المصريين، تحرك لواء ضمير بقيادة العقيد حيدر الكزبري صباح ٢٨ أيلول سنة ١٩٦١ إلى دمشق، فاحتل العميد عبد الغني دهمان مبنى رئاسة الأركان والإذاعة ومقر قيادة الفرقة الأولى وكذلك مقر المشير عبد الحكيم عامر، كما تقدم اللواء المدرع من قطنا بقيادة المقدم عبد الكريم النحلاوي فساعد بنجاح هذه العمليات الانقلابية، وكان لجميع ضباط هذه العمليات صلة وثيقة بالأوساط الإقطاعية والبورجوازية في القطر[1]. خاصة حيدر الكزبري الذي كان وثيق الصلة بمأمون الكزبري، الرئيس السابق لحركة التحرير «الشيشكلية» ولم يكن لهؤلاء الضباط الذين باشروا المفاوضات مع المشير عبد الحكيم عامر وقائد الجيش الأول جمال فيصل أي مطالب تخص خروج سوريا من الوحدة، وصدر البيان المشترك عن المفاوضات وجاء فيه: أن هؤلاء الضباط الذين اشتركوا بحركة هذا الانقلاب لا يشكلون أي خطر على مكتسبات القومية العربية. وقد حصلوا على موافقة المشير عامر لاتخاذ الإجراءات المناسبة من أجل المحافظة على وحدة القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة. وقد وافق المشير عامر على أكثرية طلباتهم، لكنه اعتذر عن توقيع البيان بحجة أنه لا يملك حق التوقيع بمثل هذه الوثائق قبل العودة للرئيس جمال عبد الناصر. وأرسل المشير عبد الحكيم عامر تقريراً للرئيس عبد الناصر مفسراً هذه التحركات كاحتجاج محلي من جماعة قليلة من الضباط في الإقليم الشمالي.

لكن عبد الناصر اعتبر هذه التحركات انقلابية من قطعات الجيش في سورية تهدف إلى تفشيل إجراءات التأميم والأعمال الوحدوية التي تتم في سوريا، وأصدر أمراً بقمع هذه التحركات بعنف قبل أن يستفحل أمرها... ويبدو أنه أخطأ بتقدير قوة هذه

١- بيير بييداغوف، ص ١٦٥.

obeikandl.com

القطعات والقوى التي تقف خلفها[1]. من الفئات الإقطاعية والبورجوازية التي تضررت مصالحها بنتيجة الإصلاحات التي قامت بها الحكومة المركزية، لذلك رفض عبد الناصر هذا البيان المشترك وأصدر أمراً بتسريح ستة ضباط من قادة التمرد، واصدر قراراً بإرسال قوات إنزال من ١٢٠ مظلياً في جبلة قرب اللاذقية وتجهيز فوجين من الجيش المصري وألفين من المظليين، وتسخير جميع البارجات والبواخر العسكرية التي في حوزة الجمهورية العربية المتحدة لإخماد محاولة الانقلاب.

من جهة أخرى تم في دمشق في مساء ٢٨ أيلول إعلان خروج سوريا من الجمهورية العربية المتحدة، وأجبر المشير عبد الحكيم عامر واللواء جمال فيصل على مغادرة دمشق بطائرة خاصة إلى القاهرة، وتم اعتقال عبد الحميد السراج نائب الرئيس وأعلنت محافظة حلب تأييدها للانقلاب[2]. وأطلق قادة الانقلاب على أنفسهم اسم «القيادة الثورية العليا للقوات المسلحة» وقد أصدروا بياناً رسمياً في ٢ تشرين أول ذكروا فيه أن في مقدمات الأسباب التي دعت قادة القوات المسلحة للتحرك التحريف لمفهوم الوحدة العربية الحقيقية. ولخصوا مبادئهم بشعارين «القومية العربية ـ الاشتراكية الديمقراطية».

وكان عبد الناصر قد اصدر أمراً في ٢٩ أيلول بعدم استخدام القوة قائلاً: «إن العرب لا يريقون الدم العربي، وطلب من الشعب السوري أن يحافظ على المنجزات الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت خلال الوحدة.. وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة قد كلفت الدكتور مأمون الكزبري الزعيم السابق لحركة التحرير بتشكيل حكومة انتقالية مؤقتة أعلنت عن رغبتها بإقامة نظام دائم يعتمد على القانون خلال ٤ أشهر. وأنها تتوجه لبناء حياة اشتراكية ديمقراطية حقيقية وتحقيق وحدة عربية أصيلة. ووعدت بإعادة الحريات الديمقراطية للمواطنين، كحرية النشر، والإعراب عن الرأي، وإلغاء جميع القوانين الاستثنائية، وجميع أنواع الرقابة والتصرفات المختلفة التي تضيق على حريات الفرد، ومختلف الفئات الاجتماعية الواسعة... ومن الناحية الاقتصادية أخذت على عاتقها توفر الرفاه المادي لجميع المواطنين وتوسيع النشاطات الموجهة

١- نفس المرجع، ص ١٦٦.

٢- بيير بداغوف، ص ١٦٦.

obeikandl.com

لاستقطاب رؤوس الأموال لداخل القطر واستخدامها في الاقتصاد. كما وعدت بتسهيلات أمام دخول رؤوس الأموال الأجنبية للمساهمة بالاقتصاد القومي.. وصرحت بعزمها لإعطاء العمال حقوقهم، وزادت نسبة أرباحهم من أرباح الشركات التي يعملون بها من ١٠٪ بأيام الوحدة إلى ٢٠٪، واحترام حرية العمال وحقوقهم على أساس الاشتراكية الحقة.. كما أعلنت الحكومة عن عزمها على العمل لتقوية التعاون مع جميع الأقطار العربية من أجل تحقيق «الوحدة العربية الكبرى بين جميع الدول العربية على أسس الحرية والمساواة» ضمن نطاق الجامعة العربية[١].

وقد سبق ذلك الإعلان عن حل التنظيم السوري للاتحاد القومي ومنع نشاط جميع الأحزاب السياسية، ومنعت الإضرابات والمظاهرات مهما كان طابعها وشكلها، وسمح لجميع المصريين مغادرة سوريا عسكريين أو مدنيين. وفي ٥ تشرين أول اعترف عبد الناصر بانفصال سوريا عن مصر، إذ صرح قائلاً إنني أرى بأنه ليس من المهم في الوقت الحاضر أن تبقى سوريا جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة، بقدر ما هو مهم الآن أن تبقى سوريا عربية، وأن يبقى الشعب العربي هو الحاكم في سوريا.

وكان الاعتراف بسورية من الكثير من الدول العربية وغير العربية إذ بلغ العدد في ٢٦ تشرين الأول من العام نفسه ٥٩ دولة عربية وأجنبية.

وفي تشرين أول أصدرت جماعة من كبار السياسيين في القطر بياناً تم فيه الإعلان عن الدعم والتأييد الكاملين «لخطوة الجيش الجبارة» وقد وقع هذا البيان كل من أكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار، وزعيم المستقلين خالد العظم وصبري العسلي وغيرهم، ودعم كل من شكري القوتلي وفارس الخوري وسلطان باشا الأطرش هذا البيان[٢].

أما بالنسبة لحزب البعث في سوريا فقد كان معارضاً للانفصال. أما في لبنان فقد أصدرت القيادة القومية بيانين متناقضين فاحدهما كان ضد هذا الانقلاب والآخر معه، ثم اعترف حزب البعث فيما بعد بالبيان الأول فقط، الذي جاء فيه: إن الانقلاب كان تعبيراً عن تعبيرات القوى الرجعية لإقامة نظام عسكري ديكتاتوري في القطر.

١- نفس المرجع، ص ١٦٨.

٢- نفس المرجع السابق، ص ١٦٩.

obeikandl.com

وفي وقت لاحق أيد صلاح البيطار وجهة النظر هذه وانتقد موقفه السابق بالنسبة للانفصال.

وفي حديث للأستاذ رضوان رضوان من قادة حزب البعث في مضافته في السويداء الأربعاء ١٩٩٩/٧/٧ قال: عندما بدأ الانفصال بقوة العسكر عصاصة والنحلاوي وزمرتهم، كانت دمشق الجماهير ناصرية إسلامية، لكنها لا تريد العسكر فوقعت في بلبلة مثلما وقع صلاح الدين البيطار وكثير من البعثيين بذلك أيضاً، فالكل لا يريد العودة إلى بروفة القطر الشمالي والقطر الجنوبي، وعودة عبد الحكيم عامر إلى سوريا والعودة لفترة ما قبل الانفصال تماماً، وبالرغم من أن صلاح الدين البيطار الذي يمثل وجهة نظر دمشق «ناصريه إسلامية بدون عسكر" قد وقع بإغراء من أكرم الحوراني على هذا الانفصال آملاً أن يصل إلى موقف جديد ووحدة لطيفة واتفاقات جديدة.

عقد المؤتمر القومي بحمص في أيار ١٩٦٢ في بيت عبد البرعيون السود، وقد طلب الأستاذ ميشيل عفلق تأجيل رأي الحزب حتى يظهر الاتجاه الجماهيري والشعبي بدمشق جلياً، وهذا ما جعل الحزبيين في ضياع..

وعند انعقاد مؤتمر حمص، قال الأستاذ ميشيل: لا وقوف مع الانفصال فنكون انفصاليين. ولا عودة إلى قطر شمالي وقطر جنوبي، فنعود لإلغاء الديمقراطية وسيطرة أجهزة المخابرات، إنما المطلوب صيغة جديدة للوحدة مع مصر، وهذا يحصل بعد تحقيق الانقلاب في العراق على يد الحزب وطرح اتحاد ثلاثي جديد مع مصر والعراق، وهذا يخرجنا من تيار معارضة الوحدة، ومن تيار تأييد الانفصال معاً. وكان هذا أمر من أمين الحزب طرح بالمؤتمر الخامس بحمص، وقد تحقق ذلك، وبدأت مفاوضات الاتحاد الثلاثي «العراق، سوريا، مصر» وكان قد تقرر في المؤتمر، إقامة تنظيم سري للحزب في سوريا بقيادة عراقية، فجاء هاني فكيكي، وحمدي عبد المجيد وعلي صالح السعدي من العراق، واتخذوا مقراً لإقامتهم بدمشق في حي القصور بشارع بغداد. وتحيروا من أين وكيف يبدأون.. فشاوروا الأستاذ ميشيل فحولهم إلى الأستاذ صلاح، وكان الرأي، تشكيل تنظيمي من عناصر فتية، وكان حمود الشوفي ومحمود نوفل وغيرهم في القيادة القطرية مع العراقيين، وكانت قيادة فرع السويداء: عبد الكريم

obeikandl.com

عزي ـ صالح السغبيني ـ موسى بشارة ـ حسن نصر، إضافة إلى زيد طربيه عن العمال. استمر هذا التنظيم السري حتى الثامن من آذار، لكنه لم يكن التنظيم السري الوحيد في القطر، بل قامت عدة تنظيمات سرية، تختلف بارتباطاتها ومرجعياتها حتى في السويداء نفسها.. انتهى حديث الأستاذ رضوان.

أما الحزب الشيوعي فقد أيد خروج سوريا من الوحدة، وذكر في صحفه أن فشل الوحدة لا يعني على الإطلاق فشل مفهوم ومبدأ الوحدة ولكن فشل هذه الوحدة قد حصل بسبب الأساليب «والطرق اللاديمقراطية» التي اتبعت خلال تنفيذ الخطوات الوحدوية. ودعا الحزب إقامة سلطة وطنية ديمقراطية معادية للإمبريالية تدعم المكتسبات التي حصل عليها العمال والفلاحون من قبل. كما استقبلت الأوساط البرجوازية والإقطاعية حركة الانفصال بترحيب واسع، وقد عاد لدمشق أصحاب المصانع والشركات المؤممة وكبار الملاكين والتجار والإقطاعيين، وأعلنوا عن تأييدهم الكامل لحكومة الانفصال التي فسحت المجال «للنشاط الاقتصادي الحر»[1].

ووجهت حكومة الانفصال دعوة إلى جميع الأقطار العربية تحث فيها على العمل الجاد، لإقامة اتحاد فيدرالي طوعي يقوم على أسس المساواة بين جميع الأقطار العربية المشتركة فيه، وأشارت فيه إلى احترام «الحريات الشخصية والدستورية» لأعضاء الاتحاد الفيدرالي، على أن هذا الاتحاد لا يعارض مطلقاً قيام أي وحدة اندماجية بين بعض الأقطار الداخلة في الاتحاد..

وقد رحبت الحكومة العراقية بهذا المشروع، بينما رفضت الحكومة المصرية حتى المناقشة في هذا المشروع.

وقد صرح الدكتور مأمون الكزبري في ٣ تشرين أول في مؤتمر صحفي أن حكومته عازمة على إعادة الشركات المؤممة لأصحابها السابقين. وأعلن بنفس الوقت أن الحكومة لا تريد إلغاء قانون الإصلاح الزراعي.

وقد قررت الحكومة إقامة نظام برلماني، وذلك يتطلب انتخاباً لأعضاء مجلس وطني ليقوم بعدة مهام في مقدمتها إعداد صيغة دستور دائم للبلاد وانتخاب الرئيس

١- بيير بيبداغوفا، ص ١٧٠.

obeikandi.com

للحكومة المؤقتة، لذلك منعت حكومة مأمون الكزبري جميع التظاهرات والتجمعات السياسية.

وبناءً على قرار إجراء الانتخابات في ٩ تشرين الثاني دعي في دمشق إلى اجتماع برلماني شارك فيه حوالي ٧٠ نائباً من المجلس النيابي السوري السابق أغلبيتهم من الأحزاب البورجوازية والإقطاعية والمستقلين ومن حزب البعث ووقع هؤلاء النواب اتفاقية الوحدة الوطنية التي جاء فيها: إن المشاركين في الاجتماع البرلماني يعلنون تأييدهم للبرنامج الذي اتخذته الحكومة في مجال الوحدة العربية اللامركزية وبناء النظام الاشتراكي العربي[1].

صدر بعد ذلك في تشرين الثاني الدستور المؤقت للبلاد، فأصبحت سوريا على أساسه جمهورية دستورية برلمانية، وجرت الانتخابات التي شارك فيها من ٥٠ـ٦٠٪ من عدد السكان الذين يحق لهم التصويت وكان حوالي ٩٧٪ من المقترعين إلى جانب الدستور المؤقت. بهذا الشكل أخذ نظام الانفصال صيغة شرعية في الاستقلال عن مصر.

وقد أعطيت أكثر الأصوات إلى المرشحين المستقلين في الجمعية العمومية وقد توزعت الأصوات كما يلي:

المستقلون ٦٢ مقعداً أي ٤٢٪ من الأصوات ـ حزب الشعب ٣٣ مقعداً ٢٢٪ الحزب الوطني ٢١ مقعداً ١٤٪ حزب البعث ٢١ مقعداً ١٤٪. أما باقي المقاعد في البرلمان فقد كانت من نصيب الإخوان المسلمين والقومين السوريين. تم بعد ذلك انتخاب ناظم القدسي أحد قادة حزب الشعب رئيساً للجمهورية العربية السورية[2] وفي ٨ كانون الأول ١٩٦٢ أعلن رئيس الحكومة برنامج حكومته الذي وضح أن حكومته تعمل على إقامة وإباحة الحريات الاجتماعية في القطر بما في ذلك حرية الصحافة والطباعة والنشر، وتحسين الأوضاع الاقتصادية للشعب والحفاظ على قوانين الإصلاح الزراعي، تنظيم وتوزيع أراضي مروية وبعلية.. وغير ذلك. وصدر قرار بإلغاء تأميم الشركات التي تضمنها قانون التأميم لعام ١٩٦١، شركات صناعية ومؤسسات تأمين، وبنوك.

١- بيير بيداعوف، ص ١٧٣.

٢- بيير بيداعوف، ص ١٧٤.

obeikandl.com

كانت الدول الإمبريالية تعمل على تقديم مساعدات لسورية تطمح من ورائها إلى إبعاد القطر السوري عن طريق التحولات التقدمية التي تمت خلال فترة الوحدة، واعتباراً من مطلع سنة ١٩٦٢ تغيرت مواقف الدول الإمبريالية وراحت تعمل بشتى الوسائل للنيل من سورية وتحجيم التحولات التقدمية فيها، وقد ظهرت طموحات الأوساط الإمبريالية الجديدة بوضوح من خلال التحشدات العسكرية العدوانية على الحدود السورية الإسرائيلية، وتمركز بعض القطعات من الجيش التركي على الحدود السورية الشمالية، كما ظهرت من جديد مشاريع «سوريا الكبرى» و«الهلال الخصيب» وغيرها[1]. وفي شهر شباط ١٩٦٢ تقدمت الحكومة السورية بشكوى لمجلس الأمن على تهديدات إسرائيل المتكررة، ونواياها في تحويل مياه بحيرة طبريا وضخها وذكرت الشكوى أن هذه المخططات تهدد السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط. وقد أدت هذه التهديدات الإسرائيلية والتركية لتدعيم العلاقات العسكرية بين سوريا والعراق لعقد حلف دفاع مشترك بين البلدين، وفي آذار ١٩٦٢ اجتمع الرئيس السوري ناظم القدسي مع الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم في مدينة الرطبة على الحدود العراقية السورية، وصدر بيان عن الاجتماع فيه إدانة شديدة للمشاريع الإمبريالية مثل «الهلال الخصيب ـ وسوريا الكبرى» وحصل اتفاق على تدابير ضرورية ضد تهديدات إسرائيل لضخ مياه بحيرة طبريا. وتم الإعلان عن علاقات سياسية وعسكرية وثيقة بين سوريا والعراق، كما وجهت دعوات للدول العربية للانضمام لهذا الاتفاق.

مرحلة التغيرات

تسارعت حياة القطر السياسية وإفلاس الحكومات الإقطاعية والبورجوازية. لم يرض أكثر الجماهير خاصة العمال والكادحين والفلاحين وكثير من الضباط الجدد والمثقفين عن السياسة الاقتصادية المتبعة من قبل الحكومات التي تلت الانفصال وحصلت إضرابات ومظاهرات تطالب بإعادة الوحدة ومظاهرات أخرى تعاكسها بالمطاليب، تطالب بإلغاء القوانين والمراسيم التي صدرت بأيام الوحدة، وبنفس الوقت

١- بيير بيداعوف، ص ١٧٨.

obeikandi.com

بدأ داخل المجلس التأسيسي نفسه حوار تزعمه خالد العظم وأكرم الحوراني تمركز فيه النقاش على إلغاء الأحكام الاستثنائية وعودة الحريات السياسية والشخصية وإلغاء الرقابة والتصنيفات على المواطنين.. فاضطرت حكومة الدواليبي أواسط آذار ١٩٦٢ لطرح المسألة للاقتراع أمام البرلمان، وقد تم التصويت على تأليف حكومة ائتلافية تتمكن من حل القضايا المعقدة مما يتناسب مع رأي الأكثرية وقدمت الحكومة استقالتها للرئيس ناظم القدسي في ٢٥ آذار ١٩٦٢.

انقلاب مع انقلاب

قامت مجموعة من الضباط القياديين الذين ساهموا في انقلاب الانفصال ١٩٦١ العقيد عبد الكريم النحلاوي واللواء عبد الغني دهمان ـ موفق عصّاصة وغيرهم بانقلاب اعتبره ضباط هذا الانقلاب متمماً لانقلاب أيلول ١٩٦١ من حيث الأهداف والمبادئ حتى إن الحركة بدأت ببلاغ رقم ١٩ أي تكملة لأحداث أيلول التي انتهت ببيان رقم ١٨ «وأمسكت القيادة العسكرية العليا، التي شكلت من قادة الانقلاب بصورة رئيسية» زمام الأمور في البلاد وأصدرت قراراً بحل المجلس النيابي، وتم اعتقال ١٠٠ مواطن من ضمنهم الرئيس وجميع أعضاء الحكومة وعدد كبير من أعضاء المجلس النيابي، وقادة الشركة الخماسية وأعضاء اللجان الاقتصادية والمالية[١].

وأعلنت هذه الحركة أنه من أهم أهدافها إعادة الوحدة مع مصر، بعد أيام قليلة.

انتفاضة جاسم علوان

في ٣١ آذار تمردت حامية مدينة حلب التي كان يقودها العقيد جاسم علوان في رفض الانصياع لأوامر القيادة العسكرية العليا، ورفع علم الوحدة فوق قلعة حلب وراح يصدر البيانات المتتالية لمدة ثلاثة أيام من إذاعة حلب باسم «حركة الضباط الأحرار» وسمى إذاعة حلب بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة في حلب، وأعلن بأن سورية أصبحت من جديد الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة.. وقد ساند بعض الضباط هذه

١- بيير بيداعوف، ص ١٨٠.

obeikandi.com

الانتفاضة وبعضهم وقف ضدها، مما أدى لصدام مسلح بين القوات المرابطة في مدينة حمص وبين القوات التي أرسلت من دمشق لترويض الانتفاضة.

اجتماع جديد في حمص

ورد في كتاب بيير بيدا غوف ما يلي: في ٢ نيسان أعلنت القيادة العليا أنها ستدافع عن الوحدة ومبادئها التي تطالب بالوحدة مع مصر وقامت مظاهرات أخرى، معارضة للوحدة. تطالب بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتشكيل حكومة شعبية تعمل على أساس القوانين الدستورية التي أهملت من قبل القيادة العليا.. ومع هذا الوضع المعقد كان على الرئيس ناظم القدسي أن يدعو لاجتماع في حمص في ١ نيسان لبعض الشخصيات المسؤولة وممثلي الجهات المتنازعة في الجيش ولوضع النقاط على الحروف... وتم التوصل إلى اتفاقية مساومة من أجل تسوية الوضع السياسي في البلد..

وكانت الخطوات اللاحقة:

١ـ الاتفاق على تشكيل قيادة عسكرية موحدة للقوات المسلحة أكثرها من الضباط القياديين، الذين لم يشاركوا في أي انقلاب عسكري سابقاً.

٢ـ مغادرة الضباط المغامرون من كلا الجهتين إلى خارج القطر.

٣ـ تشكل القيادة العليا الجديدة حكومة مؤقتة تجري اقتراعاً عاماً حول مسألة الوحدة مع مصر. في هذه الأثناء كانت العلاقة بين القوى المتنازعة في دمشق وحلب تتوتر باستمرار وتنذر بنشوب حرب أهلية في البلد. بنفس الوقت أخذ بعض قادة القطعات العسكرية المؤيدة لجاسم علوان بالتراجع عن خطواتهم في تأييد حركته مما أدى في النهاية لفشل الحركة وبعد أن أخذ عدد من الضباط الكبار وعداً من الحكومة بتنفيذ جميع القرارات التي اتخذت في مؤتمر حمص ـ غادر هؤلاء الضباط الذين قادوا انقلابي أيلول وآذار القطر إلى الخارج ومن بينهم عبد الكريم النحلاوي، وعبد الغني دهمان وهاشم عبد ربه وغيرهم واختفى جاسم علوان عن الأنظار، خوفاً من أن تقتله الحكومة بعد تمرده في حلب: «عند عادل خطار بدمشق». وبقي القائد العام للقوات المسلحة السورية اللواء عبد الكريم زهر الدين في منصبه وتم تسريح عدد كبير من

obeikandl.com

الضباط المؤيدين للضباط المنفيين، وقد شكلت القيادة العسكرية الجديدة ٦ لجان لدراسة مسائل الاقتصاد والمالية والإصلاح الزراعي ووسائل الإعلام والعلاقة مع الدول العربية والسياسة الخارجية وتقديم الاقتراحات لحلها بسرعة[١].

وفي ١٣ نيسان عاد الرئيس ناظم القدسي من جديد لممارسة مهام الرئاسة، فاخرج أعضاء الحكومة المعتقلين من السجن، ورفض دعوة المجلس النيابي السابق. وصرح اللواء عبد الكريم زهر الدين أن الجيش سيعود لتنفيذ مهامه الأساسية في الدفاع عن الوطن والمصالح القومية العليا.

حكومة مدنية جديدة

تشكلت في ١٦ نيسان ١٩٦٢ حكومة مدنية جديدة برئاسة أحمد بشير العظمة أكثر أعضائها لم يمارس سابقاً نشاطات سياسية. وكان في الحكومة الجديدة وزيران من حزب البعث وشغل عبد الكريم زهر الدين منصب وزير الدفاع بالإضافة لمنصب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وقد عدلت حكومة بشير العظمة كثيراً من قانون الإصلاح الزراعي، وفي ٥ حزيران صدر قرار يمنع الرقابة وصرح بشير العظمة في ٢٣ حزيران في مؤتمر صحفي أن مهمة حكومته تنحصر في إباحة الحريات الديمقراطية وإلغاء قانون منع نشاط الأحزاب السياسية، وإعادة تنظيم الحياة السياسية على أسس جديدة وإجراء انتخابات ديمقراطية عامة.

تشظي حزب البعث وانقساماته

في شهر أيار ١٩٦٢ تم عقد المؤتمر القومي الخامس لحزب البعث العربي الاشتراكي لأول مرة بعد الانفصال في مدينة حمص. وكان من مهام هذا المؤتمر. إقرار المسائل التنظيمية للحزب، ووضع برنامج عمل لنشاطه المستقبلي، وبما أن فرع الحزب في سوريا لم يكن منتخباً بشكل شرعي فإن هؤلاء الأعضاء لم يدعوا جميع الأعضاء لحضور المؤتمر وقد كان ميشيل عفلق وبعض أنصاره من قادة المنظمة الفعليين في سوريا.

١- بيير بيداعوف، ص ١٨٣.

obeikandl.com

لقد انقسم حزب البعث بعد الانفصال إلى عدة كتل وكان السبب الأساسي هو الموقف من قضية الوحدة وخروج سورية منها، وكذلك الموقف من نظام الانفصال.

وقد أدانت جماعة ميشيل عفلق في بيان صادر عن القيادة القومية رسمياً انقلاب ٢٨ أيلول ١٩٦١ أما جماعة أكرم الحوراني فقد وقفت منذ قيام الانفصال موقف العداء الحاد من الجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر، ومنذ ذلك الحين أصبحت جماعة أكرم الحوراني تعتبر نفسها قسماً مستقلاً داخل حزب البعث علماً أن تنظيمها أصبح مستقلاً منذ أيار ١٩٦٢.

وانفصل كذلك عن حزب البعث أنصار «حركة الوحدويين الاشتراكيين» مشكلين تنظيماً موالياً لجمال عبد الناصر. وجماعة سامي صوفان التي وقفت ضد انفصال سوريا عن مصر كلياً. أما الجماعة الأساسية في حزب البعث فقد بقيت تلك الحلقات والفرق التي لم تحل نفسها خلال فترة الوحدة في مختلف مناطق القطر، بغض النظر عن أوامر القيادة الحزبية، ووقفت هذه الجماعة ضد سلطة القيادة القومية المطلقة، وأعلنوا عن إخلاصهم لمبادئ الوحدة، وبنفس الوقت كانوا ضد أن تعاني سورية في اية وحدة من التبعية لمصر، وانضم إلى هؤلاء الضباط البعثيون أعضاء اللجنة العسكرية الذين حافظوا على تنظيمهم في الجيش وكان من بينهم محمد عمران الذي وقف لوحده ضد انفصال سوريا عن مصر..

من إحدى مقررات المؤتمر القومي الخامس الهامة كان القرار الذي يؤكد على إقامة اتحاد فيدرالي مع مصر مع الأخذ بعين الاعتبار جميع الأخطاء المرتكبة في الوحدة السابقة، وبناء على ذلك صدر قرار آخر يوجب إعادة تنظيم فروع الحزب في سوريا. وفي هذه الفترة ترأس أكرم الحوراني الاتجاه الذي طالب بالعودة إلى الحياة البرلمانية الدستورية، وكان من النتائج المباشرة لهذه الحركة إلغاء الرقابة على الصحافة والنشر ـ وفي نهاية حزيران ١٩٦٢ أصبحت هذه الجماعة تتمتع بتأثير كبير على مستوى القطر، وتحت ضغط هذه الجماعة اضطر الوزراء الموالون لعبد الناصر إلى الاستقالة، وأعلنت القيادة العليا للجيش السوري عن تقديم ١٧ من الضباط القياديين الذين ساهموا في حوادث نيسان في مدينة حلب للمحاكمة من قبل محكمة عسكرية..

وبذلك أصبح الوضع السياسي في غاية التعقيد والتناقض. فعقد في ٦ أيلول في منزل خالد العظم اجتماع سري للنواب السابقين في المجلس النيابي. وكان هدف الاجتماع ينحصر في التحضير لعقد اجتماع عام لتوحيد جميع القوى الوطنية، وبعد اجتماع آخر في ١٢ أيلول حضره الرئيس ناظم القدسي تمّ الاتفاق على دعوة المجلس النيابي للانعقاد، وتشكيل حكومة جديدة من شأنها التنظيم لانتخابات برلمانية فاجتمع مباشرة في ١٣ أيلول في بيت خالد العظم ١٥٧ نائباً بمن فيهم أكرم الحوراني وغيره من النواب الاشتراكيين ـ وقد رفض الناصريون وأعضاء الحكومة الحضور في هذا الاجتماع الذي اعتبر اجتماعاً استثنائياً للمجلس النيابي ذا صفة شرعية، وتم بعد ذلك إقرار الدستور المؤقت لعام ١٩٦١. فقدمت في اليوم الثاني ١٤ أيلول حكومة بشير العظمة استقالتها، وتنازل مأمون الكزبري عن منصبه كرئيس للمجلس واستقال أيضاً سعيد الغزي ـ وكلف خالد العظم الذي حصل على أكثرية أصوات المجلس النيابي بمهمة تشكيل حكومة جديدة ـ شملت ٢١ وزيراً فيهم ٣ من حزب البعث وثمانية أعضاء من الأحزاب الأخرى وعدد من المستقلين[1].

في ٢٠ أيلول أعلنت حكومة خالد العظم رسمياً عن حل البرلمان، وتعهدت بإجراء انتخابات برلمانية خلال عام، ووعدت الحكومة الجديدة بتوفير الديمقراطية، والحريات الاجتماعية في الحياة الداخلية، والمحافظة على قانون الإصلاح الزراعي السابق ـ والدفاع عن جميع المكتسبات والحقوق العمالية.. وأن تكون قضية الشعب الفلسطيني من أهم المسائل التي تعنى بها الدولة وقد رفضت حكومة خالد العظم مشروع الرئيس جونسون لتسوية قضية اللاجئين الفلسطينيين الذي يخدم مصالح إسرائيل فقط، ورأت الحكومة السورية بأن تحل هذه القضية في إطار هيئة الأمم المتحدة. أما بخصوص الوحدة العربية فلم تتم أية خطوات عملية رغم دخول هذه القضية في برنامج الحكومة على أنها من المهام الأساسية، بذلك ظهرت الحكومة ضعيفة أمام نقد حزب البعث. وقد نشرت جريدة البعث في تشرين الأول ١٩٦٢. رسالة صلاح الدين البيطار الموجهة للرئيس ناظم القدسي يقول فيها إن الحكم في سوريا نظام رجعي،

١- بيير بيداعوف، ص ١٨٨.

obeikandl.com

وضد الحريات الديمقراطية. لذلك اتخذت حكومة خالد العظم قراراً يمنع نشاط حزب البعث العلني في سورية ومنعت منذ ٨ تشرين الأول ١٩٦٢ صدور جريدة البعث، وحكمت المحكمة على صلاح الدين البيطار بالسجن لمدة شهر. ومنعت كذلك جريدة الوحدة الناطقة باسم الوحدويين[1] وقد تتابعت مظاهرات واضطرابات أنصار الوحدة مع مصر. وجرت محاولة انقلاب في ٣ كانون الثاني ١٩٦٣ كانت فاشلة أدت لتسريح الضباط المسؤولين ونقل بعضهم الآخر ـ وكان من بين القياديين المسرحين عبد الكريم النحلاوي وأنصاره، وحكم عليهم بالنفي إلى خارج سوريا.

الانقلاب العسكري في العراق

في ٨ شباط ١٩٦٣ حصل الانقلاب العسكري في العراق، فأحدث تغيرات جديدة، وتوترت الخلافات السياسية في سوريا بعد الانقلاب مباشرة. اعترفت الحكومة السورية في ٩ شباط ١٩٦٣ بالنظام الجديد في العراق، وجاء برسالة الرد التي بعثها عبد السلام عارف للحكومة في سوريا، بأن النظام الجديد في العراق يرغب بالتعاون مع سوريا في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية، وأشار وزير الخارجية العراقي عبد الرزاق شبيب في بيان صدر في ١٣ شباط ١٩٦٣ إلى أن الحكومة العراقية سوف تعمل كل ما بوسعها لتحقيق الوحدة العربية مع جميع الدول العربية، وشكل هذا البيان دعماً واضحاً لقوى الوحدويين في سوريا، فازدادت مظاهرات الطلاب عنفاً، وخرجت تظاهرات كبيرة في دمشق وحلب وحمص ودرعا والسويداء ودير الزور، رفعت شعارات ضد الحكومة تطالب بعودة الوحدة وإلغاء الحكم على جاسم علوان والسماح لجميع الأحزاب السياسية بالعمل.

وقد كان لاستلام البعثيين في العراق انعكاساً قوياً لدى البعثيين في سوريا، وطلب الأستاذ ميشيل عفلق في برقيته التي وجهها في ١٢ شباط إلى القيادة الجديدة في العراق تكوين جبهة عربية تقدمية، تضع نهاية لجميع محاولات الإمبريالية والصهيونية وإسرائيل والرجعية العربية. وقد صدر في ١٣ شباط بيان آخر موقع من القيادة القطرية

١- بيير بيداعوف، ص ١٩٣.

obeikandl.com

لحزب البعث في سوريا تضمن عبارات التحية الهادئة للنظام الجديد في العراق «وقد كتب هذا البيان جماعة في حزب البعث يتزعمها رياض المالكي» وقد دعا ميشيل عفلق لاجتماع موسع لحزب البعث حضره أعضاء القيادة القطرية المنتخبة رسمياً في سوريا واتخذ الاجتماع قراراً بإرسال وفد إلى بغداد لإجراء مباحثات مع قادة النظام الجديد هناك.. وتوجه في ١٧ شباط ١٩٦٣ وفد من حزب البعث في سوريا إلى العراق بدعوة من الحكومة العراقية وكان الأستاذ ميشيل عفلق رئيساً للوفد.. وكان من الأهداف الأساسية لهذه الزيارة بحث الخطوات الوحدوية بين العراق وسوريا. وقد صرح الأستاذ ميشيل عفلق بعد عودة الوفد بان مسألة الوحدة تبحث ليس من زاوية الاندماج الكامل للدول العربية المتحررة، لكن على أساس التنسيق والتقارب والتعاون فيما بينها. إننا لا نريد استباق الأمور، وإن الوحدة سوف تتم بالتدريج وستبرز في البداية «كوحدة اتحادية فيدرالية» يوحد فيما بينها في السياسية الخارجية والدفاع والاقتصاد والتعليم، وقد دعت حكومة خالد العظم فيما بعد لتشكيل اتحاد فيدرالي بين سوريا والعراق ليكون هذا الاتحاد مركز استقطاب للدول العربية الأخرى.

ثورة ٨ آذار واستلام العسكر للسلطة

أصدرت القيادة العسكرية العليا قراراً بتسريح العقيد زياد الحريري وجماعة عديدة من الضباط وفي اليوم الثاني لصدور القرار كان زياد الحريري يقود بعض القطاعات العسكرية التي كانت تتمركز على الحدود مع إسرائيل إلى دمشق صبيحة ٨ آذار ١٩٦٣ يدعمه عدد من الضباط: سليم حاطوم ـ عثمان كنعان ـ سليم حداد ـ مصطفى الحاج علي. وغيرهم ممن كانوا في اللجنة العسكرية، التي كان يشرف عليها: محمد عمران وصلاح شديد وعبد الكريم الجندي، الذين سرحوا من الجيش بعد انفصال الوحدة ١٩٦١ والذين لم يكن بإمكانهم المشاركة في العمليات العسكرية مباشرة[1].

لكنهم يعتبرون المخططين الأساسيين للانقلاب والإشراف على تنفيذه.

١- بيير بيداعوف، ص ٢٠٠.

obeikandi.com

وقد شارك في الأحداث جماعة من الضباط الناصريين منهم اللواء راشد قطيني الذي كان رئيساً للمخابرات في قيادة الأركان.

شكل ضباط الانقلاب بعد نجاحه مجلساً لقيادة الثورة من بين أعضائه زياد الحريري الذي ترفع لرتبة لواء، وأعضاء اللجنة العسكرية محمد عمران وصلاح جديد وموسى الزعبي ومن الوحدويين راشد قطيني ومحمد الصوفي ومن زعماء حزب البعث ميشيل عفلق وصلاح البيطار، شبلي العيسمي ـ المجموع ١٦ عضواً...

كلفت قيادة الحركة صلاح البيطار بتشكيل وزارة كانت من ٢٠ وزيراً ـ عشر وزراء من حزب البعث ووزعت المناصب الأخرى على اللواء زياد الحريري وقادة التنظيمات الوحدوية ـ وأصبح كل من نهاد القاسم من الجبهة العربية المتحدة، وسامي صوفان من حركة الوحدويين الاشتراكيين، وهاني الهندي وجهاد ضاحي من حركة القوميين العرب نواباً للرئيس ـ أمين الحافظ وزيراً للداخلية والقائم بأعمال الحاكم العسكري ـ وزياد الحريري رئيساً لهيئة الأركان ـ راشد قطيني نائباً للقائد العام للقوات السورية المسلحة وكان لؤي أتاسي رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة وقائداً عاماً للقوات المسلحة[1].وجاء في بيان الحكومة الجديدة بأنها ستعمل من أجل: «وحدة العرب وبناء المجتمع الاشتراكي العربي» واعتبرت مهمتها الملحة تنحصر في توحيد سوريا ومصر والعراق. وبالرغم من قرارات الحكومة التقدمية في مجال التأميم والإصلاح الزراعي والاتجاه الوحدوي بدأت الخلافات تظهر بين البعثيين من جهة والوحدويين من جهة ثانية.

وقد أصدر سليم حاطوم كأحد أعضاء اللجنة العسكرية، والذي ساهم بدور فعال في حركة ٨ آذار في قطاع دمشق.. أصدر قراراً فورياً يقضي بعودة جميع الضباط البعثيين أنصار اللجنة العسكرية المسرحين من الجيش سابقاً وعينهم في مراكز قيادية، بهذا أصبح أعضاء اللجنة العسكرية يسيطرون على المراكز القيادية في إدارة الجيش.

وقد احتدم الخلاف بين البعثيين والوحدويين وقد أدى الخلاف الفعلي بين البعث والوحدويين بشكل ملحوظ إلى تسريح ٤٧ ضابطاً وحدوياً من صفوف الجيش بتهمة

١- بيير بيداعوف، ص ٢٠١-٢٩.

openkandil.com

التحضير لانقلاب، أعلن في ١٤ أيار ١٩٦٤ حسب بنود الدستور المؤقت في البلاد عن تأسيس مجلس رئاسة دخل فيه محمد عمران ومنصور الأطرش ونور الدين الأتاسي، وانتخب أمين الحافظ رئيساً لهذا المجلس وأصبح صلاح الدين البيطار نائباً للرئيس وفي ١٤ أيار شكل صلاح البيطار حكومة جديدة من ممثلي الحزب بشكل أساسي وجاء في البيان الحكومي، أنها تثق بضرورة الاشتراكية العربية وتثق بضرورة الوحدة العربية كقوة أساسية لبناء المجتمع الاشتراكي العربي القومي[١].

إن السياسية الاجتماعية والاقتصادية المطبقة من قبل الحكومة، لم تؤد إلى أي تغيرات إيجابية ملحوظة لذلك ضاعفت الأزمة الاقتصادية من عدم رضى القوى الجماهيرية لأنهم خلال هذه المدة لم يحصلوا على أي تحسينات في وضعهم. وقد برزت أخيراً بعض المبادرات والاقتراحات والتوصيات في المؤتمر القومي السادس للخروج من هذا الوضع المستفحل.

التحولات الهامة أيام حكومة أمين الحافظ

في تشرين الأول ١٩٦٤ اضطر صلاح الدين البيطار للاستقالة من منصبه كرئيس للوزارة وعضو في مجلس الرئاسة وعلى ذلك قدم استقالته منصور الأطرش من مجلس الرئاسة وهو يعتبر من جماعة صلاح الدين البيطار. وحل مكانهما في المجلس صلاح جديد رئيس الأركان وممثل القطريين يوسف زعين. ومع وجود نور الدين الأتاسي بين قادة القطريين أيضاً فقد أصبحت الأكثرية من مجلس الرئاسة من ممثلين القيادة القطرية «الجناح اليساري للحزب».

واحتفظ أمين الحافظ بمنصب رئيس الوزراء في الحكومة الجديدة بهذا استطاع الجناح اليساري في حزب البعث أن يعزل من أجهزة الحزب والجيش والدولة، أكثرية الموالين لسياسة القيادة القومية.

وكان للمرسوم الذي صدر في ٢٢ كانون أول ١٩٦٤ أهمية خاصة لأنه يقضي بتأميم جميع مصادر الثروة المعدنية ومنع استخراجها وتصنيعها من قبل الشركات الأجنبية وبهذا

١- بيير بيداعوف، ص ٢٢٥.

obeikandi.com

وجهت سورية ضربة قوية لمخططات الاحتكارات النفطية العالمية، وخاصة شركة كونكورد التي وقعت عقداً مع الجانب السوري لاستثمار النفط السوري.

في كانون الثاني سنة ١٩٦٥ تم تأميم ١١٥ مؤسسة صناعية، وفي أيار جرى تأميم ٥٧ مصنعاً لحلج القطن في سوريا، وهكذا استطاعت حكومة أمين الحافظ من خلال الدعم المتزايد من الجماهير الكادحة متابعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وفي ٨ شباط أممت الشركات الخارجية لاستيراد المواد الغذائية والأدوية.

في آذار ١٩٦٥ أممت الحكومة جميع الشركات التي تقوم بتصنيع ونقل وبيع النفط في الأراضي السورية مثل الشركات الاحتكارية الأجنبية "سكوني فاكوم ويل" "شل" و"اسو" وأممت الدولة جميع محالج القطن البالغ عددها ٧٥ مصنعاً[١].

وبالنتيجة أصبح قطاع الدولة يعطي ٨٠٪ من منتجات القطر الصناعية.

بإقرار هذه التدابير في المجال الاقتصادي تكلل نشاط حزب البعث وحكومة أمين الحافظ بالنجاح خاصة بعدما اتخذت عدة تدابير أخرى إقامة حياة ديمقراطية داخلية حيث تم إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وسمح للمهاجرين السياسيين بالعودة إلى القطر وتم توسيع جهاز السلطة التشريعية المجلس الوطني لقيادة الثورة حسب الدستور المؤقت فادخل إليها ١٤ ممثلاً من منظمات الفلاحين ونقابة المعلمين والحقوقيين والنساء وغيرهم...

في شهر نيسان ١٩٦٥ انعقد المؤتمر القومي لحزب البعث وكان من أهم مهامه حل التناقضات الدائرة بين القيادتين القومية والقطرية، فأعادت القيادة القومية النظر في جملة القرارات التي اتخذتها في كانون أول ١٩٦٥ وألغتها كلياً تحت ضغط القيادة القطرية، كما وافقت على قرارات القيادة القطرية المتخذة آنذاك، وحلت اللجنة العسكرية، وتشكل بديلاً عنها مكتب عسكري مع تقليص مهامه لبحث القضايا العسكرية فقط، حيث رأى المؤتمر أنه من الضروري أن يبتعد الجيش عن السياسة كلياً، وعلى المكتب العسكري أن يخضع في عمله إلى القيادة القطرية في سوريا، في الوقت نفسه، أعادت القيادة القومية باقتراح من قادة اللجنة العسكرية السابقة، صلاح

١- بيير بيداعوف، ص ٢٣٣.

obeikandl.com

جديد وأمين الحافظ، حق المراقبة للسياسة الخارجية والاقتصادية في سوريا. عند انتخابات القيادة القومية الجديدة، رفض ميشيل عفلق ترشيحه لمنصب الأمين العام، وطالب بتحديد واضح المعالم للعلاقة بين البعثيين المدنيين والعسكريين، واقترح أن يكون الجيش تابعاً بصورة كاملة للحزب، وأن تدين القيادة القومية رسمياً النظام العسكري في سوريا حيث اشتغل العسكريون في الحزب لتلبية مصالحهم السياسية الذاتية، ولكن انطلاقاً من روح المساومة مال أكثرية المؤتمرين إلى رفض هذه المطالب التي قدمها ميشيل عفلق.

انتخب الدكتور منيف الرزاز أميناً عاماً للحزب وكان أميناً عاماً للحزب في الأردن.

ودخلت إلى القيادة القومية الجديدة، الشخصيات البارزة في اللجنة العسكرية في سوريا أمثال أمين الحافظ وحافظ الأسد وشبلي العيسمي ومنصور الأطرش وميشيل عفلق وممثل عن القطرين هو إبراهيم ماخوس..

أما بشأن الشخصيات الحزبية الذين شغلوا بوقت واحد مناصب ثنائية المسؤولية في أجهزة الدولة فقد حصلت خلافات كبيرة لحل هذه المشاكل المعقدة وقد تم عقد اجتماع للمنظمات الحزبية العسكرية، بمشاركة جميع قادة فروع الحزب والشعب المنطقية تحت إشراف الأمين العام للحزب، وحضر الاجتماع شبلي العيسمي، ونور الدين الأتاسي.

(كانت هذه المرة الأولى التي سمح فيها لقادة الحزب المدنيين المشاركة في أعمال اللجان الحزبية العسكرية) واتخذ قرار لتشكيل لجنة للضباط من الممثلين العسكريين في القيادتين القطرية والقومية، والمكتب العسكري وخمسة ضباط آخرين، ومن بين مهام لجنة الضباط نقل الضباط وترفيعهم وما إلى ذلك من مهام إضافية.

وقد انتخب أمين الحافظ ـ صلاح جديد ـ حافظ الأسد ـ وحمد عبيد كأعضاء في المكتب العسكري.

في حزيران ١٩٦٥ دعا أمين الحافظ إلى مؤتمر قطري استثنائي.. ناقش مسألة عزل الجيش عن الحياة السياسية كلياً وأصدر أمين الحافظ قراراً يقضي بإحالة عدد من الضباط الذين يعملون بالسياسة إلى مناصب مدنية، من بين هؤلاء أعضاء اللجنة العسكرية «سليم حاطوم عثمان كنعان ـ سليم حداد» واختار صلاح جديد منصب رئيس

هيئة الأركان بعد تنازله عن منصبه في الحكومة كعضو في مجلس الرئاسة. وفي مؤتمر قطري استثنائي في آب ١٩٦٥ قدم صلاح جديد استقالته من منصب رئاسة الأركان ورشح محمد عمران لمنصب هيئة الأركان وقد أثار التحفظ الذي أبداه أمين الحافظ لدى ترشيح محمد عمران من قبل صلاح جديد عدم رضا الكثير من الضباط ووقفوا بشدة ضد سياسة أمين الحافظ مما أدى في نهاية المطاف لعزله من القيادة القطرية[1].

وقد شارك أمين الحافظ من ٣ أيلول حتى ١٧ منه في مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدار البيضاء، كرئيس للوفد السوري وعند بحث قضية الوحدة بين الدول العربية في وجه التحديات الإسرائيلية، وقف أمين الحافظ مع الرأي السائد بين الوفود المشاركة في المؤتمر بضرورة وقف الحملة الدعائية القائمة بين الدول العربية ضد بعضها البعض. هذا وقد اجتمع أمين الحافظ بالرئيس جمال عبد الناصر على انفراد، ضمن اجتماع ثنائي بين البلدين، لكن هذه التحركات من قبل أمين الحافظ، قد لاقت احتجاجاً كبيراً من جانب صلاح جديد وجماعته، ولم تلقَ قرارات القمة التأييد من قبل الحكومة السورية.. ونتيجة لهذا القرار كان على أمين الحافظ أن يقدم استقالته: ـ أذكر جيداً أنه بعد عودة أمين الحافظ من مؤتمر المغرب المذكور مباشرة ـ جاء للسويداء بسيارة لاندروفر، واجتمعنا معه في قاعة كبيرة في ثانوية الفتاة جميع الأعضاء العاملين في الحزب بالمحافظة ووصف لنا جو المؤتمر ومضايقة الوفد السوري من قبل مختلف الوفود العربية ـ فقال بكلمة مختصرة: «**كنا كالأيتام على مأدبة اللئام**».

أمين الحافظ

وعندما قدم أمين الحافظ استقالته في ٢٣ أيلول ١٩٦٥ تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة زعيم القطريين يوسف زعين، وبهذا أصبح ممثل الجناح اليساري في الحزب ولأول مرة رئيساً للوزارة.

١- بيير بيداغوف، ص ٢٣٨.

obeikandl.com

لقد بدا تفوق اليسارية أو قوى القيادة القطرية في الحزب، وقد احتدم الخلاف بين الطرفين القومية والقطرية وأصبح يهدد بالانفجار مع كل يوم جديد. وحدث أن أصدر وزير الدفاع حمد عبيد بناءً على طلب صلاح جديد قراراً بتسريح ثلاثة من الضباط الموالين لأمين الحافظ والقيادة القومية وكان يشرف هؤلاء الضباط على فرقة الدبابات الرابعة في مدينة حمص.

رفض الضباط الانصياع للأمر وأعلنت القيادة القومية في ٢١ كانون أول ١٩٦٥ عن قرارها بحل القيادة القطرية. وقد أدى حل القيادة القطرية إلى استقالة يوسف زعين وكلف صلاح الدين البيطار بتشكيل حكومة جديدة، وقد خرج على اثر ذلك جميع الموالين لصلاح جديد «من مجلس الرئاسة» نور الدين الأتاسي وجميل شيا وفايز الجاسم».

شكل صلاح الدين البيطار في ٢ كانون الثاني ١٩٦٦ الوزارة، وطلب على الفور من وزير الدفاع، إصدار قرار بتسريح عدد من الضباط الكبار من الذين وقفوا سابقاً ضد القيادة القومية، وعلى رأسهم سليم حاطوم وعزت جديد وأحمد سويداني[1].

أذكر أنني في هذه الفترة كنت أتابع دورة تأهيل تربوي في الجامعة الأمريكية في بيروت مع مفيد أبو حمدان من السويداء ومدرسين ومعلمين من كافة المحافظات السورية والبلدان العربية وقد كلفتني القيادة القومية بدمشق لدعوة وفود هذه الدورة إلى سورية ــ وعند لقائي للدكتور منيف الرزاز والأستاذ منصور الأطرش وشبلي العيسمي في القيادة، وجدتهم، قلقين مضطربين من عصيان الضباط وسلوك أعضاء القيادة القطرية المنحلة، وكانوا في حيرة من أمرهم بسبب هذه الأحداث وتأزم الموقف بين القيادتين القومية والقطرية.

فاقترحت انسحاب الحزب من السلطة والحكم في سورية والتخلي عن ذلك للقطريين المتعطشين للسيطرة والحكم. وباستطاعة الحزب بعد ذلك تأييد الخطوات الإيجابية للحكومة وانتقاد الخطوات السلبية وطلب تصحيحها تنفيذاً لشعارات الحزب الدائمة في ذلك الوقت: علينا شق الطريق لا تعبيدها، وقلع الأشواك لا غرس الرياحين

١- بيير بيداعوف، ص ٢٣٩.

obeikandl.com

وقد استحسن الدكتور منيف والأستاذ شبلي ومنصور هذا الاقتراح ـ لكن يبدو أنهم وصلوا في الصراع مع القيادة القطرية إلى مرحلة أصبح الرجوع عن مواقفهم تجاهها صعباً فلم يستطيعوا الأخذ بهذا الرأي ـ (ولا رأي لمن لا يطاع).

بعد هذه التغيرات والتسريحات وحل القيادة وتشكيلات أخرى في الحزب تغيرت بنية المجلس الوطني لقيادة الثورة ـ وأصبح بأكثريته من ممثلي الأجنحة المرتبطة بالقيادة القومية، وهكذا قررت القيادة القومية بعد أن أمنت لنفسها الأكثرية في المجلس الوطني عقد مؤتمرٍ قطريٍّ استثنائيٍّ لانتخاب قيادة قطرية جديدة[1].

وأخيراً جاءت حركة ٢٣ شباط فأطاحت بأمين الحافظ وانتقل الوطن إلى ماء جديد وسماء جديد.

obeikandl.com

١- بيير بيداغوف ص ٢٣٩.

بيانات لحزب البعث الاشتراكي عن عهد الشيشكلي

البيان الأول: كانون الأول ١٩٥٣

حزب البعث العربي الاشتراكي أمة عربية واحدة خواتر رسالة خالدة

لقد قال الشعب كلمته في حكم الخيانة والطغيان

إن عهد الشيشكلي الذي قام على الاغتصاب والتآمر وما زال منذ عامين ينفذ مآرب الاستعمار الغربي والصهيوني، ويحكم البلاد بالإرهاب والإفقار والتزوير والإفساد، قد رفع آخر قناع عن وجهه في الحوادث الدامية الحاضرة التي تجتاح سوريا من أقصاها إلى أقصاها.

ففي حلب سلط الشيشكلي على طلاب المدارس وطالباتها قوى الشرطة بالاسلحة والرشاشات تجرح وتضرب وتعذب المواطنين من الطلاب والأساتذة والعمال والمحامين حتى آثار جميع المواطنين فأضربت المدينة قاطبة مدة أيام.

وفي دمشق أضرب طلاب الجامعة السورية وجميع المدارس الثانوية والابتدائية واصطدموا بقوى الامن في معارك عديدة وأنزل القمع والضرب والاعتداء الوحشي على

obeikandi.com

ألوف الطلاب والطالبات وحتى الممرضات والمرضى في المستشفيات وغصت السجون بالمئات من شباب البلاد.

وفي درعا سقط خمسة قتلى وسبعون جريحاً برصاص الشرطة كثيرون منهم إصاباتهم خطرة.

وفي حماة وحمص واللاذقية ودير الزور اعتقل مئات الطلاب والشباب وشاركهم الشعب في نضالهم وتعرض أكثرهم لرصاص قوى الأمن وأنزل الجيش في حماة ودير الزور ودرعا بالإرهاب، وزورت الضبوط بحق المعتقلين وتدخلت السلطة تدخلاً سافراً في القضاء، ولم تخل مدينة في سوريا صغيرة وكبيرة من مثل هذه الحوادث.

أيها الشعب

إن حزب البعث العربي الاشتراكي قد قاد في جميع أنحاء الوطن طوال عامين نضال الشعب ضد الخيانة والطغيان وسار دائماً في طليعة الجماهير طلاباً وعمالاً وفلاحين في معركة الحرية ليعلن استمراره في نضال لا هوادة فيه أبى إلا أن تتحقق الأماني القومية التالية:

١. **تنحي المغتصب أديب الشيشكلي عن السلطة والحكم.**
٢. **إقصاء الجيش عن الحكم والشؤون السياسية إقصاءً فعلياً.**
٣. **تسليم الشعب قضيته بحكم البلاد حكماً ديمقراطياً صحيحاً.**

كانون الأول ١٩٥٣ **حزب البعث العربي الاشتراكي**

obeikandi.com

البيان الثاني: ١٢ نيسان ١٩٥٤

دعاة الانعزالية والطائفية لا يقلّون خطراً عن دعاة الاستعمار

قام الشيشكلي في أواخر عهده بأعنف غارة على جبل العرب الثائر ضده، بقصد إذلاله والقضاء على ثورته. ولكنه لم يفعل أكثر من أن يضعف هو نفسه.

وبعد أن أطاح الشعب بعهد الشيشكلي، حاولت بعض النفوس المريضة، استغلال جريمة الشيشكلي، لإثارة النعرات الطائفية. وقد وقف حزب البعث ضد المحاولة، والتف الشعب حوله للقضاء على المحاولة، وعزل المحاولين.

حزب البعث العربي الاشتراكي — أمة عربية واحدة — خالد رسالة خالدة

فرع السويداء

ثار الجبل على الاستعمار عام ١٩٢٥ وثار على الديكتاتورية عام ١٩٥٤.

وسيكون أبداً ثورة على كل مستعمر ومستبد.

دعاة الانعزالية والطائفية لا يقلّون خطراً عن دعاة الاستعمار والاستبداد

شعارنا العمل على تنمية الشعور القومي العربي الأصيل

obeikandl.com

في مثل هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه البلاد يرى حزب البعث العربي الاشتراكي من واجبه أن يوضح:

أولاً ـ الوجه الحقيقي لثورة الجبل الاخيرة بعد أن حاول أديب الشيشكلي والمأجورون تشويه حقيقتها ودوافعها.

ثانياً ـ خطر الاندفاع وراء الشائعات المغرضة والحوادث المصطنعة التي تثير النعرات الضيقة كالطائفية والاقليمية والعائلية.

لقد كان الطاغية أديب الشيشكلي يدرك قوة الجبل العربي وما اتصف به أبناؤه من تعشق للحرية وتمسك بالكرامة فسعى لقهره وإذلاله بالقسوة والعنف تارة وبالدس والتشويه تارة أخرى. وكان الشعب العربي في سوريا بجميع هيئاته وعناصره قد انكمش عنه فقاطع انتخابه وانتخاباته، واستبسل شباب البعث العربي الاشتراكي في مقاومة ديكتاتوريته حتى استخدم معهم أساليب التعذيب والتنكيل فلم يفلح بإخماد صوتهم. ثم التفت حوله فوجد أيضاً أبناء الجبل الأحرار وعلى رأسهم قائد الثورتين البطل العربي ((سلطان باشا الأطرش)) يشاركون رجال البلاد وأحزابها في معارضة حكمه الفردي ثم هاله أن يشتركوا في مؤتمر حمص وفي المذاكرات والمواثيق الوطنية التي وقعها رجال السياسة فامتلأ قلبه بالخوف والرعب وامتلأت نفسه باللؤم والحقد فلجأ إلى الإرهاب والتعذيب. ولم يكتف بتسخير جيش البلاد واستخدام البطش بالمناضلين الأحرار بل اختلق الأكاذيب المضللة فادعى بأن ثورة الجبل كانت بدافع التعصب الديني وبدافع من الأجنبي تارة أخرى.

إن الحقيقة التي نود أن يفهمها كل مواطن حر هي: إن ثورة عام ١٩٢٥ لا تختلف في دوافعها الوطنية وأهدافها التحررية عن ثورة عام ١٩٥٤. فالاولى كانت في سبيل الحرية والكرامة، في سبيل الاستقلال والسيادة وضد تعسف الاستعمار وطغيانه، والثانية كانت أيضاً في سبيل الحرية والكرامة وضد تعسف الحكم الديكتاتوري وطغيانه. وإن ذكرى شهداء هذه الثورة من مدنيين وعسكريين ستبقى حية في نفوسنا وستبعث فينا القوة وتشحذ عزيمتنا للنضال الدائم في سبيل الحرية.

حزب البعث العربي الاشتراكي

openkanal.com